ثم دخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

ذكر القبض على الأمير منصور

ابن نوح وملك أخيه عبد الملك

في هذه السنة قُبِضَ على الأمير منصور بن نوح بن منصور الساماني صاحب بُخارى وما وراء النهر ، وملك أخوه عبد الملك ، وسبب قبضه ما ذكرناه من قصد محمود بن سبكتكين بكتوزون بخراسان وعوده عن نيسابور إلى مرو الروذ ، فلمَّا نزلها سار بكتوزون إلى الأمير منصور– وهو بسرخس – فاجتمع به فلم يرَ من إكرامه وبره ما كان يؤمله ، فشكا ذلك إلى فائق فقابله فائق بأضعاف شكواه ، فاتفقا على خلعه من الملك وإقامة أخيه مقامه ، وأجابهما إلى ذلك جماعة من أعيان العسكر . فاستحضره بكتوزون بعلة الاجتماع لتدبير ما هم بصدده من أمر محمود – فلمَّا اجتمعوا به قبضوا عليه وأمر بكتوزون من سمله ، فأعماه ولم يراقب اللهّ ولا إحسان مواليه وأقاموا أخاه عبد الملك مقامه في الملك –وهو صبي صغير– وكانت مدة ولاية منصور سنة وسبعة أشهر . وماج الناس بعضهم في بعض . وأرسل محمود إلى فائق ، وبكتوزون يلومهما ويقبِّح فعلهما ، وقويت نفسه على لقائهما وطمع في الاستقلال بالملك فسار عنهما عازماً على القتال .

ذكر استيلاء يمين الدولة محمود بن سبكتكين على خراسان

لما قبض الأمير منصور سار محمود نحو فائق ، وبكتوزون ، ومعهما عبد الملك بن نوح ، فلمَّا سمعوا بمسيره ساروا إليه ، فالتقوا بمرو آخر جُمادى الأولى واقتتلوا أشد قتال رآه الناس

إلى الليل فانهزم بكتوزون ، وفائق ومن معهما . فأما عبد الملك ، وفائق فإنهما لحقا ببُخارى . وقصد بكتوزون نيسابور ، وقصد أبو

القاسم بن سيمجور(1) قهستان . فرأى محمود أن يقصد بكترزون ، وأبا القاسم وجلهما عن الاجتماع والاحتشاد ، فسار إلى طوس فهرب منه بكتوزون إلى نواحي جرجان ، فأرسل محمود خلفه أكبر قواده وأمرائه – وهو أرسلان الجاذب – في عسكر جرار فاتبعه حتى ألحقه بجرجان ، وعاد فاستخلفه محمود على طوس ، وسار إلى هراة ، فلمَّا علم بكتوزون بمسير محمود عن نيسابور عاد إليها فملكها ، فقصده محمود فأجفل من بين يديه إجفال الظليم ، واجتاز بمروفنهبها وسار عنها إلى بُخارى . واستقر ملك محمود بخراسان ، فازال عنها اسم السَّامانية وخطب فيها للقادر بالله ، وكان إلى هذا الوقت لا يخطب له فيها إنما كان يخطب للطائع لله ، واستقل بملكها منفرداً ، وتلك سنة الله تعالى يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء.

وولى محمود قيادة جيوش خراسان أخاه نصراً وجعله بنيسابور على ما كان يليه آل سيمجور للسامانية . وسار هو الى بلخ مستقر والده فاتخذها دار ملك ، والَفق أصحاب الأطراف بخراسان على طاعته كآل فريغون أصحاب الجوزجان – ونحن نذكرهم إن شاء الله تعالى ج وكالشار الشاه صاحب غرشتان (2) ، ونحن نذكر ههنا أخبار هذا الشار ، فاعلم أن هذا اللقب – وهو الشار– لقب كل من يملك بلاد غرشتان ككسرى للفرس ، وقيصر للروم ، والنجاشي للحبشة ، وكان الشار أبو نصر قد اعتزل الملك وسلمه الى ولده الشاه – وفيه لوثة وهوج – واشتغل والده أبو نصر بالعلوم ومجالسة العلماء، ولما عصا أبو علي بن سيمجور على الأمير نوح أرسل

إلى غرشتان من حصرها ، وأجلى عنها الشاه الشار ، ووالده أبا نصر ، فقصدا حصناً منيعاً في آخر ولايتهما فتحصنا به إلى أن جاء سبكتكين إلى نصرة الأميِر نوح ، فنزلا إليه وأعاناه على أبي علي ، وعادا إلى ملكهما ، فلمَّا ملك الآن يمين الدولة محمود خراسان أطاعاه وخطبا له ، ثم إن يمين الدولة بعد هذا أراد الغزوة إلى الهند ، فجمع لها وتجهَّز وكتب إلى الشاه الشار يستدعيه ليشهدَ معه غزوته ، فامتنع وعصى .

(ا) في بعض الكتب ابن سمجور .

(2) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وشين معجمة مكسورة وسين مهملة وتاء مثناة من فوق وآخر. نون ، يراد به النسبة الى غرش معنا. موضع الغرش. ويقال : غرشتان بفتح أوله وكسر ثانيه ، وهي : ولاية برأسها ليس لها سلطان ولا لسلطان عليها سبيل ، هراة في غربيها والغور فى شرقيها ومرو الروذ عن شمالها وغزنة عن جنوبيها معجم البلدان ،/193 .

فلمَّا فرغ من غزوته سيّر إليه الجيوش ليملكوا بلاده ، فلمَّا دخلوا البلاد طلب والده أبو نصر الأمان ، فأجيب إلى ذلك ، وحمل إلى يمين الدولة ، فأكرمه واعتذر أبو نصر بعقوق ولده وخلافه عليه ، فأمره بالمقام بهراة متوسعاً عليه إلى أن مات سنة اثنتين وأربعمائة . وأما ولده الشاه ، فانه قصد ذلك الحصن الذي احتمى به على أبي علي فأقام به ومعه أمواله وأصحابه ،فحصره عسكر يمين الدولة فى حصنه ونصبوا عليه المجانيق ، وألحوا عليه بالقتال ليلاً ونهاراً ، فانهدمت أسوار حصنه وتسلّق العسكر إليه ، فلمَّا أيقن بالعطب طلب الأمان والعسكر يقاتله ، فلم يزل كذلك حتى أخِذَ أسيراً وحُمِلَ إلى يمين الدولة، فضُرب تأديباً له ، ثم أودع السجن إلى أن مات وكان موته قبل موت والده . ورأيت عدة مجلدات من كتاب التهذيب للأزهري في اللغة بخطه ، وعليه ما هذه نسخته يقول : محمد بن أجمد بن الأزهري قرأ على الشار أبو نصر هذا الجزء من أوله إلى آخره ، وكتبه بيده صح ، فهذا يدل على اشتغاله وعلمه بالعربية فإن من يصحب مثل الأزهري ويقرأ كتابه التهذيب يكون فاضلاً .

ذكر انقراض دولة السامانية وملك الترك وما وراء النهر

في هذه السنة انقرضت دولة آل سافان على يد محمود بن سبكتكين وأيلك الخان التركي – واسمه أبو نصر أحمد بن علي ولقبه شمس الدولة – فأما محمود فإنه ملك خراسان كما ذكرناه ، وبقي بيد عبد الملك بن نوح ما وراء النهر ، فلمَّا انهزم من محمود قصد بُخارى ، واجتمع بها هو وفائق ، وبكتوزون ، وغيرهما من الأمراء والأكابر فقويت نفوسهم ، وشرعوا في

جمع العساكر وعزموا على العود إلى خراسان فاتفق أن مات فائق وكان موته في شعبان من هذه السنة ، فلمَّا مات ضعفت نفوسهم ووهنت قوتهم فإنه كان هو المشار إليه من بينهم ، وكان خصياً من موالي نوح بن نصر. وبلغ خبرهم إلى ايلك الخان فسار في جمع الأتراك إلى بُخارى ، وأظهر لعبد الملك المودة والموالاة والحمية له ، فظنوه صادقاً ولم يحترسوا منه ، وخرج إليه بكتوزون وغيره من الأمراء والقواد ، فلمَّا اجتمعوا قبض عليهم ، وسار حتى دخل بُخارى يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة من هذه السنة ، فلم يدر عبد الملك ما يصنع لقلة عدده فاختفى ، ونزل ايلك الخان دار الامارة وبث الطلب والعيون على عبد الملك حتى ظفر به ، فأودعه بأفكند فمات بها ، وكان آخر ملوك السامانية وانقضت دولتهم على يده ،

كأن لم تغن بالأمس كدأب الدول قبلها إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ، وحُبِسَ معه أخوه أبو الحرث منصور بن نوح الذي كان في الملك قبله وأخواه أبو إبراهيم إسماعيل ، وأبو يعقوب أبناء نوح وأعمامه أبو زكريا ، وأبو سليمان ، وغيرهم من آل سامان وأفرد كل واحد منهم في حجرة ، وكانت دولتهم قد انتشرت وطبقت كثيراً من الأرض من حدود جلوان إلى بلاد الترك بما وراء النهر – وكانت من أحسن الدول سيرة وعدلاً ، وهذا عبد الملك هو عبد الملك بن نوح بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل كلهم ملكوا . وكان منهم من ليس مذكوراً في هذا النسب عبد الملك بن نوح بن نصر ملك قبل أخيه منصور بن نوح المذكور. وكان منهم أيضاً منصور بن نوح بن منصور أخو عبد الملك هذا الأخير الذي زال الملك في ولايته ولي قبله .

ذكر ملك بهاء الدولة فارس وخوزستان

في هذه السنة دخل الديلم الذين مع أبي علي بن أستاذ هرمز بالأهواز في طاعة بهاء الدولة ، وكان سبب ذلك ان ابني بختيار لما قتلا صمصام الدولة ، كما تقدم وملكا بلاد فارس ، كتبا إلى أبي علي بن أستاذ هرمز بالخبر ، ويذكران تعويلهما عليه ، واعتضادهما به ، ويأمرانه بأخذ اليمين لهما على من معه من الديلم ، والمقام بمكانه ، والجد بمحاربة بهاء الدولة ، فخافهما أبو علي لما كان أسلفه إليهما من قبل أخويهما، وأسرهما فجمع الديلم الذين معه وأخبرهم الحال ، واستشارهم فيما يفعل . فأشاروا بطاعة ابني بختيار ومقاتلة بهاء الدولة ، فلم يوافقهم على ذلك ، ورأى أن يراسل بهاء

الدولة ويستميله ويحلفه لهم فقالوا : إنا نخاف الأتراك وقد عرفت ما بيننا وبينهم ، فسكت عنهم وتفرقوا " .

وراسله بهاء الدولة يستميله ويبذل له وللديلم الأمان والإِحسان وترددت الرسل . وقال بهاء الدولة : " إن ثأري ، وثأركم عند من قتل أخي فلا عذر لكم في التخلف عن الأخذ بثأره " ، واستمال الديلم ، فأجابوه إلى الدخول في طاعته ، وأنفذوا جماعة من أعيانهم إلى بهاء الدولة ، فحلفوه واستوثقوا منه ، وكتبوا إلى أصحابهم المقيمين بالسوس بصورة الحال ، وركب بهاء الدولة من الغد إلى باب السوس رجاء أن يخرج من فيه إلى طاعته ، فخرجوا إليه في السلاح ، وقاتلوه قتالاً شديداً لم يقاتلوا مثله ،

فضاق صدره ، فقيل له : إن هذه عادة الديلم أن يشتد قتالهم عند الصلح لئلا ينظر بهم أنهم سلَّموا عن عجز أو ضعف ثم كفوا عن القتال وأرسلوا من يحلف لهم ونزلوا إلى خدمته واختلط العسكران وساروا إلى الأهواز . فقرَّر أبو علي بن إسماعيل أمورها وقسم الإِقطاعات بين الأتراك والديلم . ثم ساروا إلى رامهرمز ، فاستولوا عليها وعلى أرجان وغيرها من بلاد خوزستان ، وسار أبو علي بن إسماعيل إلى شيراز ، فنزل بظاهرها فخرج إليه ابنا بختيار في أصحابهما فحاربوه ، فلمَّا اشتدَّت الحرب مال بعض من معهما إليه ، ودخل بعض أصحابه البلد ، ونادوا بشعار بهاء الدولة .

وكان النقيب أبو أحمد الموسوي بشيراز قد وردها رسولًا من بهاء الدولة إلى صمصام الدولة . فلمَّا قتل صمصام الدولة كان بشيراز . فلمَّا سمع النداء بشعار بهاء الدولة ظنَ أن الفتح قد تمَّ ، فقصد الجامع وكان يوم الجمعة ، وأقام الخطبة لبهاء الدولة . ثم عاد ابنا بختيار واجتمع إليهما أصحابهما ، فخاف النقيب ، فاختفى وحمل في سلة إلى أبي علي بن إسماعيل . ثم إن أصحاب ابني بختيار قصدوا أبا علي ، وأطاعوه فاستولى على شيراز وهرب ابنا بختيار . فأما أبو نصر فإنه لحق ببلاد الديلم ، وأما الثاني وهو أبو القاسم ، فلحق ببدر بن حسنويه ثم قصد البطيحة . ولما ملك أبو علي شيراز ، كتب إلى بهاء الدولة بالفتح فسار إليها ونزلها . فلمَّا استقرَّ بها أمر بنهب قرية الدودمان ، وإحراقها ، وقتل كل من كان بها من أهلهم ، فاستأصلهم ، وأخرجِ أخاه صمصام الدولة وجدد أكفانه ، وحمل إلى التربة بشيراز فدُفِنَ بها ، وسيَّر عسكراَ مع أبي الفتح

أستاذ هرمز إلى كرمان ، فملكها ، وأقام بها نائباً عن (بهاء الدولة إلى ههنا آخر ما في ذيل الوزير أبي شجاع رحمه الله) .

ذكر مسير باديس إلى زناتة

في هذه السنة منتصف صفر أمر باديس بن المنصور صاحب أفريقية نائبه محمد بن أبي العرب بالتجهَّز والاستكثار من العساكر ، والعدد والمسير إلى زناتة . وسبب ذلك أن عمه يطوفت كتب إليه يعلمه أن زيري بن عطية الملقب بالقرطاس –وقد تقدم ذكره – نزل عليه بتاهرت محارباً . فأمر محمداً بالتجهَّز إليه ، فسار في عساكر كثيرة حتى وصل إلى أشير – وبها حمّاد بن يوسف عم باديس كان قد أقطعه إياها باديس – فرحل حماد معه ، فوصل إلى تاهرت واجتمعا بيطوفت ، وبينهم وبين زيري بن عطية

مرحلتان . فزحفوا إليه فكانت بينهما حروب عظيمة . وكان أكثر عسكر حمّاد يكرهرنه لقلةِ عطائه . فلمَّا اشتدَّ القتال انهزموا ، فتبعهم جميع العسكر ، فأراد محمد بن أبي العرب أن يرد الناس ، فلم يقدر على ذلك وتمت الهزيمة . وملك زيري بن عطية مالهم وعددهم ، ورجعت العساكر ، إِلى أشير .

وبلغ خبر الهزيمة إلى باديس فرحل . فلمَّا قارب طبنة بعث في طلب فلفل بن سعيد فخاف فأرسل يعتذر إليه وطلب عهداً بإقطاع مدينة طبنة ، فكتب له وسار باديس . فلمَّا أبعد قصد فلفل مدينة طبنة ، وغلب على ما حولها . وقصد باغاية فحصرها وباديس سائر إلى أشير .

فلمَّا سمع زيري بن عطية بأنه قد قَرُبَ منه رحل إلى تاهرت فقصده باديس فسار زيري إلى العرب . فلمَّا سمع باديس برحيله استعمل عمه يطوفت على أشير وأعطاه أموالاً وعدداً ، وعاد إلى أشير فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد ، فأرسل إليه العساكر وبقي يطوفت على أشير وأعطاه أموالاً وعدداً ، وعاد إلى أشير فبلغه ما فعل فلفل بن سعيد ، فأرسل إليه العساكر وبقي يطوفت ومعه أعمامه وأولاد أعمامه .فلمَّا أبعد عنهم باديس عصوا وخالفوا عليه منهم ماكسن ، وزاوي ، وغيرهما . وقبضوا على يطوفت وأخذوا جميع ما معه من المال ، فهرب من أيديهم وعاد إلى باديس.

وأما فلفل بن سعيد فإنه لما وصل إليه العسكر المُسَيَّرُ إلى قتاله لقيهم وقاتلهم وهزمهم وقتل فيهم ، وسار يطلب القيروان ، فسار عند ذلك باديس إلى باغاية ، فلقيه أهلها

فعرفوه ما قاسوه من قتال فلفل ، وأنه حصرهم خمسة وأربعين يوماً ، فشكرهم ووعدهم الاحسان ، وسار يطلب فلفلاً فوصل إلى مرمجنة، وسار فلفل إليه في جمع كثير من البربر ، وزناتة ، ومعه كل من في نفسه حقد على باديس ، وأهل بيته فالتقوا بوادي أغلان . وكان بينهم حرب عظيمة لم يسمع بمثلها وطال القتال بينهم ، وصبر الفريقان ، ثم أنزل الله نصره على باديس وصنهاجة ، وانهزم البربر وزناتة هزيمة قبيحة ، وانهزم فلفل فابْعِدَ في الهزيمة وقتل من زويلة تسعة آلاف قتيل سوى من قتل من البربر، وعاد باديس إلى قصره ، وفرح أهل القيروان لأنهم خافوا أن يأتيهم فلفل . ثم إن عمومة باديس اتصلوا بفلفل وصاروا معه على باديس . فلمَّا سَمِعَ باديس بذلك سار إليهم . فلمَّا وصل قصر الأفريقي وصله أن عمومته فارقوا فلفلاً ، ولم يبقَ معه سوى ماكسن بن زيري ، وذلك أول سنة تسعين وثلاثمائة .

كان لباديس نائب بطرابلس الغرب فكاتب الحاكم بأمر الله بمصر ، وطلب أن يسلم إليه طرابلس ، ويلتحقَ به ، فأرسل إليه الحاكم يأنس الصقلي ، وكان خصيصاً بالحاكم وهو المتولي لبلاد برقة ، فوصل يأنس وتسلم طرابلس وأقام بها وذلك سنة تسعين ، فأرسل باديس إلى يأنس يسأله عن سبب وصوله إلى طرابلس ، وقال له : إن كان الحاكم استعملك عليها ، فأرسل العهد لاقفَ عليه فقال يأنس : إنما أرسلني معيناً ونجدة إن احتيج إلي ومثلي لا يطلب منه عهد بولاية لمحلي من دولة الحاكم . فسيَّر إليه جيشاً فلقيهم يأنس خارج طرابلس ، فقتل في المعركة وانهزم أصحابه ، ودخلوا طرابلس فتحصنوا بها ، وكان قد قتل منهم في المعركة كثير ، ونزل عليهم الجيش وحصرهم ،وأرِسلوا الى الحاكم يستمدونه فجهَّزَ جيشاً عليهم يحيى بن علي الأندلسي ، وسيَرهم إلى طرابلس ، وأطلق لهم مالًا على برقة ، فلم يجد يحيى فيها مالاً فاختلت حاله . فسار إلى فلفل –وكان قد دخل إلى طرابلس واستولى عليها – فأقام معه فيها ، واستوطنها من ذلك الوقت ، وسنذكر باقي خبرهم سنة ثلاث وتسعين .

وفي سنة إحدى وتسعين سار ماكسن بن زيري عم أبي باديس إلى أشير ، وبها ابن أخيه حماد بن يوسف بلكين ، فكان بينهما حرب شديدة قُتِلَ فيها ماكسن وأولاده محسن ، وباديس ، وحباسة . وتوفي زيري بن عطية بعد قتل ماكسن بتسعة أيام .

في هذه السنة عاشر ربيع الأول انقض كوكب عظيم ضحوة نهار.

وفيها عمل أهل باب البصرة يوم السادس والعشرين من ذي الحجة زينة عظيمة ، وفرحاً كثيراً ، وكذلك عملوا ثامن عشر المحرم مثل ما يعمل الشيعة في عاشوراء . وسبب ذلك أن الشيعة بالكرخ كانوا ينصبون القباب ، وتعلق الثياب للزينة اليوم الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو يوم الغدير . وكانوا يعملون يوم عاشوراء من المأتم والنوح ، وإظهار الحزن ما هو مشهور . فعمل أهل باب البصرة في مقابل ذلك بعد يوم الغدير بثمانية أيام مثلهم وقالوا : هو يوم دخل النبي صلى الله عليه وسلم . وأبو بكر رضي الله عنه الغار(1) .

(1) قال العلامة ابن كثير : وهذا أيضاً جهل من هؤلاء فان هذا إنما كان في أوائل ربيع الأول من أول سنى =

وعملوا بعد عاشوراء بثمانية أيام مثل ما يعملون يوم عاشوراء وقالوا : هو يوم قتل مصعب بن الزبير .

وتوفي هذه السنة أحمد بن محمد بن عيسى أبو محمد(1) السرخسي المقري الفقيه الشافعي – وهو من أصحاب أبي إسحاق المروزي – وله رواية للحديث أيضاً . وكان شيخ خراسان في زمانه . وقرأ القرآن على ابن مجاهد والأدب على ابن الأنباري ، ومات وله ست وتسعون سنة ، وعبدالله بن محمد بن إسحاق بن سليمان أبو القاسم البزاز المعروف بابن حبابة ، وكان شيخ الحنابلة في زمانه (2) .

= الهجرة فإنهما أقاما في الغار ثلاثاً وحين خرجا منه قصدا المدينة فدخلاها بعد ثمانية أيام أو نحوها . وكان دخولهما المدينة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول وهذا أمر معلوم مقرر محرر، البداية والنهاية 11 /347 .

(1) وقع هنا " أحمد بن محمد بن عيسى أبو محمد" وفي البداية والنهاية "زاهد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن عيسى " وفي النجوم الزاهرة " زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى أبو علي " وفي طبقات الشافعي لتاج الدين السبكي " زاهر بن أحمد بن محمد بن عيسى أبو على " والصحيح زاهر ، روى عنه أئمة أعلام منهم أبو عثمان الصابوني ، وأبو عثمان سعيد بن محمد البحتري ، وكريمة الكشميهينية المجاورة . وأخذ علم الكلام عن الشيخ أبي الحسن الأشعري . قال الحاكم فيه : الفقيه المحدث شيخ عصره بخراسان توفي يوم الثلاثاء سلخ

شهر ربيع الآخر . وكان يقول عند الموت : لعن اللُه المعتزلة ومخرقوا موَّهوا .

(2)ولد ببغداد سنة تسع وتسعين ومائتين وروى عن البغوي ، وأبي بكر بن أبي داود وطبقتهما . وكان ثقة مأموناً مشداً . وهو الراوي الجعديات عن البغوي . قال ابن كثير : مات في جمادى الأولى من هذه السنة عن تسعين سنة وصلى عليه الشيخ أبو حامد الأسفرائني شيخ الشافعية دفن في مقابر جامع منصور . البداية والنهابة 11 /348 . وقال في شذرات الذهب 32/13 : توفي في ربيع الآخر .

ثم دخلت سنة تسعين وثلاثمائة

ذكر خروج إسماعيل بن نوح وما جرى له بخراسان

في هذه السنة خرج أبو إبراهيم إسماعيل بن نوح من محبسه . وكان قد حبسه أيلك الخان لمَّا ملك بُخارى مع جماعة من أهله ، وسبب خلاصه أنه كان تأتيه جارية تخدمه ، وتتعرف أحواله ، فلبس ما كان عليها وخرج ، فظنه الموكلون الجارية . فلمَّا خرج استخفى عند عجوز من أهل بُخارى . فلمَّا سكن الطلب عنه سار من بُخارى إلى خوارزم ، وتلقب المنتصر واجتمع إليه بقايا القواد السامانية ، والأجناد ، فكثَّفَ جمعه ، وسيَّر قائداً من أصحابه في عسكر إلى بُخارى ، فبيت من بها من أصحاب ايلك الخان فهزمهم وقتل منهم . وكبس جماعة من أعيانهم مثل جعفر تكين وغيره ، وتبع المنهزمين نحو ايلك الخان إلى حدود سمرقند فلقي هناك عسكراً جراراً جعلهم ايلك الخان يحفظون سمرقند . فانضاف إليهم المنهزمون ولقوا عسكر المنتصر ، فانهزم ايضاً عسكر ايلك الخان ، وتبعهم المنتصر ، فغنموا أثقالهم فصَلُحَتْ أحوالهم بها ، وعادوا إلى بُخارى ، فاستبشر أهلها بعودِ السامانية . ثم إن ايلك جمع الترك وقصدَ بُخارى فانحاز من بها من السامانية وعبروا النهر إلى آمل الشط فضاقت عليهم فساروا هم والمنتصر نحو أبيورد ، فملكها وجبوا أموالها . وساروا نحو نيسابور – وبها منصور بن سبكتكين نائباً عن أخيه محمود– فالتقوا قريب نيسابور في ربيع الآخر ، فاقتتلوا فانهزم منصور وأصحابه وقصدوا هراة . وملك المنتصر نيسابور وكثر جمعه . وبلغ يمين الدولة الخبر ، فسار مجدّا نحو نيسابور . فلمَّا قاربها سار عنها المنتصر إلى أسفراين ، فلمَّا أزعجه الطلب سار نحو شمس

المعالي قابوس بن وشكمير ملتجئاً إليه ومتكثراً به . فأكرم مورده ، وحمل إليه شيئاً كثيراً . وأشار على المنتصر بقصد الري إذ كانت ليس بها من يذبُّ عنها لاشتغال أصحابها باختلافهم ، ووعده بأن ينجده بعسكر

جرار مع أولاده ، فقبل مشورته وسار نحو الرَّي ، فنازلها فضعف من بها عن مقاومته إلا أنهم حفظوا البلد منه ، ودسوا إلى أعيان عسكره كأبي القاسم بن سيمجور وغيره ، وبذلوا لهم الأموال ليردوه عنهم ففعلوا ذلك . وصغروا أمر الري عنده وحسنوا له العود إلى خراسان ، فسار نحو الدامغان وعاد عنه عسكر قابوس . ووصل المنتصر إلى نيسابور في آخر شوال سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة فجبى له الأموال بها . فأرسل إليه يمين الدولة جيشاً ، فلقوه فانهزم المنتصر وسار نحو أبيورد، وقصد جرجان فردَّه شمس المعالي عنها . فقصد سرخس وجبى أموالها وسكنها فسار إليه منصور بن سبكتكين من نيسابور فالتقوا بظاهر سرخس ، واقتتلوا . فانهزم المنتصر وأصحابه ، وأسر أبو القاسم علي بن محمد بن سيمجور ، وجماعة من أعيان عسكره ، وحملوا إلى المنصور . فسيَّرهم إلى غزنة وذلك في ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين .

وسار المنتصر تائهاً حتى وافى الأتراك الغزية – ولهم ميل إلى آل سامان – فحركتهم الحمية ، واجتمعوا معه وسار بهم نحو ايلك الخان ، وكان ذلك في شوال سنة ثلاث وتسعين ، فلقيهم ايلك بنواحي سمرقند ، فهزموه واستولوا على أمواله وسواده ، وأسروا جماعة من قواده ، وعادوا إلى أوطانهم ، واجتمعوا على إطلاق الأسرى تقرُّباً إلى أيلك الخان بذلك . فعلم المنتصر ، فاختار من أصحابه جماعة يثق بهم ، وسار بهم فعبر النهر ، ونزل بآمل الشط ، فلم يقبله مكان ، وكلما قصد مكاناً ردَّه أهله خوفاً من معرته ، فعاد وعبر النهر إلى بُخارى وطلب واليها لايلك الخان ، فلقيه واقتتلوا . فانهزم المنتصر إلى

دبوسية وجمع بها . ثم عاودهم ، فهزمهم وخرج إليه خلق كثير من فتيان سمرقند ، وصاروا في جملته ، وحمل له أهلها مالاً وغيره والآلات والثياب والدواب وغير ذلك ج فلمَّا سمع ايلك الخان بحاله جمع الأتراك ، وسار إليه في قضه وقضيضه ، والتقوا بنواحي سمرقند ، واشتدتْ الحرب بينهم فانهزم أيلك الخان ، وكان ذلك في شعبان سنة أربع وتسعين ، وغنموا أمواله ودوابه .

وعاد ايلك الخان إلى بلاد الترك ، فجمع وحشد وعاد إلى المنتصر . فوافق عوده تراجع الغزية الذين كانوا مع المنتصر إلى أوطانهم . وقد زحف جمعه فاقتتلوا بنواحي أسروشنة ، فانهزم المنتصر وأكثر الترك في أصحابه القتل. وسار المنتصر منهزماً حتى عبر النهر ، وسار إلى الجوزجان فنهب أموالها ، وسار يطلب مرو ، فسير يمين الدولة

العساكر ففارق مكانه وسار وهم في أثره حتى أتى بسطام ، فأرسل إليه قابوس عسكراً أزعجه عنها . فلمَّا ضاقت عليه المذاهب عاد إلى ما وراء النهر ، فعبر أصحابه وقد ضجروا وسئموا من السهر والتعب والخوف ففارقه كثير منهم إلى بعض أصحاب ايلك الخان ، فأعلموهم بمكانه فلم يشعر المنتصر إِلا وقد أحاطت به الخيل من كل جانب ، فطاردهم ساعة ثم ولاهم الدبر ، وسار فنزل بحلة من العرب في طاعة يمين الدولة ، وكان يمين الدولة قد أوصاهم بطلبه . فلمَّا رأوه أمهلوه حتى أظلم الليل ثم وثبوا عليه ، فأخذوه وقتلوه . وكان ذلك خاتمة أمره . وإنما أوردت حادثة هذه السنة لترد متتابعة فلو تفرقت في السنين لم تعلم على هذه الصورة لقلتها .

ذكر محاصرة يمين الدولة سجستان

في هذه السنة سار يمين الدولة إلى سجستان وصاحبها خلف بن أحمد فحصره بها . وكان سبب ذلك أن يمين الدولة لما اشتغل بالحروب التي ذكرناها سيَّر خلف بن أحمد ابنه طاهراً الى قهستان فملكها ، ثم سار منها إلى بوشنج فملكها – وكانت هي وهراة لبغراجق عم يمين الدولة – فلمَّا فرغ يمين الدولة من تلك الحروب استأذنه عمه في إخراج طاهر بن خلف من ولايته ، فأذِنَ له في ذلك ، فسار إليه فلقيه طاهر بنواحي بوشنج ، فاقتتلوا فانهزم طاهر ولجَ بغراجق في طلبه ، فعطف عليه طاهر فقتله ، ونزل إليه وأخذ رأسه ، فلمَّا سمع يمين الدولة بقتل عمه عظم عليه وكبر لديه ، وجمع عساكره – وسار نحو خلف بن أحمد فتحصّنِ منه خالف بحصن أصبهبذ– وهو حصن يناطح النجوم علواً وارتفاعاً – فحصره فيه وضيَق

عليه ، فذلّ وخضع وبذل أموالاً جليلة لينفس عن خناقه ، فأجابه يمين الدولة إلى ذلك وأخذ رهنه على المال .

ذكر قتل ابن بختيار بكرمان واستيلاء بهاء الدولة عليها

في هذه السنة في جُمادى الآخرة قمّل الأمير أبو نصر بن بختيار الذي كان قد استولى على بلاد فارس . وسبب قتله أنه لما انهزم من عسكر بهاء الدولة بشيبرازسار إلى بلاد الديلم ، وكاتب الديلم بفارس ، وكرمان من هناك يستميلهم . وكاتبوه واستدعوه . فسار إلى بلاد فارس ، واجتمع عليه جمع كثير من الزط ، والديلم ، والأتراك ، وتردَّد في تلك النواحي ، ثم سار إلى كرمان فلم يقبله الديلم الذين بها ،

وكان المقدم عليهم أبو جعفر بن أستاذ هرمز . فجمع وقصد أبا جعفر ، فالتقيا فانهزم أبو جعفر إلى السير جان ، ومضى ابن بختيار إلى جيرفت ، فملكها وملك أكثر كرمان ، فعظمٍ الأمر على بهاء الدولة ، فسيَّر إليه الموفق علي بن إسماعيل في جيش كثير وسار مجدَّاً حتى أطلَّ على جيرفت ، فاستأمن إليه من بها من أصحاب ابن بختيار ودخلها ، فأنكر عليه من معه مني القواد سرعة سيره ، وخوفوه عاقبة ذلك فلم يصغ إليهم ، وسال عن حال ابن بختيار فاخِبرَ أنه على ثمانية فراسخ من جيرفت ، فاختار ثلاثمائة رجل من شجعان أصحابه ، وسار بهم وترك الباقين مع السواد بجيرفت ، فلمَّا بلغ ذلك المكان لم يجده ، ودل عليه فلم يزل يتبعه من منزل إلى منزل حتى لحقه بدارزين ، فسار ليلاً وقذر وصوله إليه عند الصبح فأدركه . فركب ابن بختيار واقتتلوا قتالاً شديداً، وسار الموفق في نفر من غلمانه فأتى ابن بختيار من ورائه ، فانهزم ابن بختيار وأصحابه ووضع فيهم السيف ، فقتل منهم الخلق الكثير ، فغدر بابن بختيار بعض أصحابه وضربه بلت ، فألقاه ، وعاد إلى الموفق ليخبره بقتله ، فأرسل معه من ينظر إليه فرآه وقد قتله غيره ، وحُمِلَ رأسه إلى الموفق ، واكثر الموفق القتل في أصحاب ابن بختيار ، واستولى على بلاد كرمان واستعمل عليها أبا موسى سياهجيل وعاد إلى بهاء الدولة. فخرج بنفسه ولقيه وأكرمه وعظمه ، ثم قبض عليه بعد أيام ، ومن أعجب ما يذكر أن الموفق أخبره منجم ، أنه يقتل ابن بختيار يوم الاثنين . فلمَّا كان قبل الاثنين بخمسة ايام قال للمنجم : قد بقي خمسة أيام وليس لنا علم به ، فقال له

المنجم : إن لم تقتله فاقتلني عوضه وإلّا فأحسن إلي ، فلمَّا كان يوم الاثنين أدركه ، وقتله وأحسنَ إلى المنجم إحساناً كثيراً .

ذكر القبض على الموفق أبي علي بن إسماعيل

قد ذكرنا مسيره إلى قتال ابن بختيار وقتله ابن بختيار . فلمَّا عاد أكرمه بهاء الدولة ولقيه بنفسه ، فاستعفى الموفق من الخدمة فلم يعفِهِ بهاء الدولة . فألحّ كل واحد منهما فأشار أبو محمد بن مكرم على الموفق بترك ذلك ، فلم يقبل فقبض عليه بهاء الدولة ، وأخذ أمواله . وكتب إلى وزيره سابور ببغداد بالقبض على أنساب الموفق فعرفهم ذلك سرَّاً فاحتالوا لنفوسهم وهربوا ، واستعمل بهاء الدولة أبا محمد بن مكرم على عمان ، ثم ان بهاء الدولة قتل الموفق سنة أربع وتسعين وثلاثمائة .

في هذه السنة استعمل بهاء الدولة أبا علي الحسن بن أستاذ هرمز على خوزستان ، وكانت قد فسدت أحوالها بولاية أبي جعفر الحجاج لها ومصادرته لأهلها ، فعمرها أبو علي ، ولقَّبه بهاء الدولة عميد الجيوش ، وحَمَلَ إلى بهاء الدولة منها أموالا جليلة مع حسن سيرة في أهلها وعدل .

وفيها ظهر في سُجستان معدن الذهب ، فكانوا يحفرون التراب ويخرجون منه الذهب الأحمر . وفيها توفي الشريف أبو الحسن محمد بن عمر العلوي ودُفِنَ بالكرخ وعمره خمس وسبعون سنة ، وهو مشهور بكثرة المال والعقار(1)، والقاضي أبو الحسن ابن قاضي القضاة أبي محمد بن معروف ، والقاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا المعروف بابن طرار الجريري (2) – بفتح الجيم – منسوب إلى محمد بن جرير الطبري لأنه كان يتفقه على مذهبه ، وكان عالما بفنون العلوم كثير الرواية والتصنيف فيها .

(ا) هو أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن ير بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه الشريف العلوى الرندى الكوفى رئيس العلوية بالعراق . ولد سنة خمس عشرة وثلاثمائة روى عن هناد بن السرى الصغير وأبى العباس بن عقدة وغيرهما . وسكن بغداد وكانت له أموال كثيرة وضياع . ودخل عظيم وحشمة وافرة وهمة عالية . وكان مقدماً على الطالبيين فى وقته . صادره عضد الدولة فى زمنه واستحوذ على جمهور أمواله وسجنه . وقيل أخذ منه ألف ألف

دينار ، ثم أطلقه شرف الدولة بن عضد الدولة لما تملك وعظم شأنه في دولته ، ثم صادره بهاء الدولة بألف ألف دينار ثم سجنه ثم أطلقه واستنابه على بغداد يقال : ان غلاته كانت تساوى كل سنة بألفى ألف دينار وله جاهة كبيرة جداً ورياسة باذخة.

(2) ولد سنة ثلاث وثلاثمائة . وقيل : سنة خمس وثلاثمائة وكان إماماً في النحو واللغة والفقه على مذهب محمد بن جرير الطبري – والأخبار والاشعار ثبتا ثقة ولي القضاء بباب الطاق .

ثم دخلت سنة احدى وتسعين وثلاثمائة

ذكر قتل المقلد(ا) وولاية ابنه قرواش

في هذه السنة قتل حسام الدولة المقلد بن المسيب العقبلي غيلة قتله مماليك له ترك. وكان سبب قتله أن هؤلاء الغلمان كانوا قد هربوا منه فتبعهم ، وظفر بهم وقتل منهم ، وقطع وأعاد الباقين فخافوه على نفوسهم . فاغتنم بعضهم غفلته . وقتله بالأنبار، وكان قد عظم أمره وراسل وجوه العساكر ببغداد وأراد التغلب على الملك فأتاه الله من حيث لا يشعر. ولما قُتِلَ كان ولده الأكبر قرواش غائباً، وكانت امواله وخزائنه بالأنبار، فخاف نائبه عبد الله بن إبراهيم بن شهرويه (2) بادرة الجند، فراسل أبا منصور بن قراد اللديد – وكان بالسندية – فاستدعاه إليه وقال له : " أنا اجعل بينك وبين قرواش عهداً وأزوجه ابنتك وأقاسمك على ما خلفه أبوه ، وتساعده على عمه الحسن إن قصده وطمع فيه " فأجابه إلى ذلك وحمى الخزائن والبلد . وأرسل عبد الله إلى قرواش يحثّه على الوصول ، فوصل وقاسمه على المال وأقام قراد عنده ، ثم إن الحسن بن المسيب جمع مشايخ عقيل وشكا قرواشا إليهم وما صنع مع قراد فقالوا له : خوفه منك حمله على ذلك ، فبذل من نفسه الموافقة له والوقوف عند رضاه ، وسفر المشايخ بينهما فاصطلحا ، واتفقا على أن يسير الحسن إلى قرواش شبه المحارب ، ويخرج هو وقراد لقتاله فإذا لقي بعضهم بعضاً عادوا جميعاً على قراد فأخذوه . فسار الحسن ، وخرج قرواش وقراد

(1) المقلد هو أخو أبي الذواد بن المسيب بن رافع حسام الدولة أبو حسان العقيلي صاحب الموصل . كان أخو أبو الذواد

أول من تغلب على الموصل وملكها في سنة ثمانين وثلاثمائة – على ما تقدم بيانه – وملك حسام الدولة هذا الموصل بعد . وكان حسن التدبير واتسعت مملكه . بعث إليه القادر الخليفة خلع السلطة واللواء واستخدم هو نحو ثلاثة آلاف من الترك والديلم ودانت له عرب خفاجة وكان أديباً وله شعر حسن رافضى المذهب .

(2) في تاريخ ابن خلدون " ابن شارويه " .

لقتاله . فلمَّا تراءى الجمعان جاء بعض أصحاب قراد إليه فأعلمه الحال فهرب على فرس له ، وتبعه قرواش ، والحسن فلم يدركاه ، وعاد قرواش إلى بيت قراد فأخذ ما فيه من الأموال التي أخذها من قرواش وهي بحالها . وسار قرواش إلى–الكوفة فأوقع بخفاجة عندها وقعة عظيمة ، فساروا بعدها إلى الشام ، فأقاموا هناك حتى أحضرهم أبو جعفر الحجاج (1)، على ما نذكره إن شاء الله .

ذكر البيعة لولي العهد

في هذه السّنة في ربيع الأول أمر القادر باللّه بالبيعة لولده أبي الفضل (2) بولاية العهد ، وأحضر حجاج خراسان وأعلمهم ذلك ، ولقَّبه الغالب بالله ، وكان سبب البيعة له أن عبد الله بن عثمان الواثقي من ولد الواثق بالله أمير المؤمنين ، كان من أهل نصيبين ، فقصد بغداد ثم سار عنها إلى خراسان ، وعبر النهر إلى هارون بن ايلك بغراخاقان وصحبه الفقيه أبو الفضل التميمي ، وأظهر أنه رسول من الخليفة إلى هارون يأمره بالبيعة لهذا الواثقي فإنه ولي عهد، فأجابه خاقان إلى ذلك وبايع له وخطب له ببلاده ، ونفق عليه . فبلغ ذلك القادر باللّه فعظم عليه وراسل خاقان في معناه ، فلم يصغِ إلى رسالته ، فلمَّا توفي هارون خاقان وولي بعده أحمد قراخان ، كاتبه الخليفة في معناه فأمر بإبعاده فحينئذ بايع الخليفة لولده بولاية العهد . وأما الواثقي فإنه خرج من عند أحمد قراخاقان ، وقصد بغداد فعرف بها وطلب ، فهرب منها إلى البصرة ثم إلى فارس ، وكرمان ثم إلى بلاد الترك ، فلم يتم له ما أراده وراسل الخليفة الملوك يطلبه فضاقت عليه الأرض ، وسار إلى خوارزم ، وأقام

بها ثم فارقها فأخذه يمين الدولة محمود بن سبكتكين فحبسه في قلعة إلى أن توفي بها.

ذكر استيلاء طاهر بن خلف على كرمان وعوده عنها

في هذه السّنة سار طاهر بن خلف بن أحمد صاحب سجستان إلى كرمان طالباً ملكها. وكان سبب مسيره إليها أنه كان قد خرج عن طاعة أبيه وجرى بينهما حروب ، كان الظفر فيها لأبيه . ففارق سجستان وسار إلى كرمان وبها عسكر بهاء الدولة –وهي له على ما ذكرناه فاجتمع من بها من العساكر إلى المقدم عليهم ، ومتولي أمر البلد –وهو أبو

(1) أبو جعفر الحجاج بن هُرمُز.

(2) كان عمره ثماني سنين وشهوراً. البداية والنهاة 11 / 351.

موسى سياهجيل – فقالوا له : إن هذا الرجل قد وصل – وهو ضعيف – والرأي أن تبادره قبل أن يقوى أمره ، ويَكثُر جمعه ، فلم يفعل واستهان به ، فكَثُرَ جمع طاهر وصعد إلى الجبال ، وبها قوم من العصاة على السلطان فاحتمى بهم وقوي ، فنزل إلى جيرفت فملكها وملك غيرها، وقوي طمعه في الباقي فقصده أبو موسى ، والديلم فهزمهم ، وأخذ بعض ما بقي بأيديهم ، فكاتبوا بهاء الدولة فسيَّر إليهم جيشاً عليهم أبو جعفر بن أستاذ هرمز، فسار إلى كرمان وقصد بم وبها طاهر، فجرى بين طلائع العسكرين حرب ، وعاد طاهر إلى سُجستان وفارق كرمان . فلمَّا بلغ سجستان أطلق المأسورين ، ودعاهم إلى قتال أبيه معه ، وحلف لهم أنهم إذا نصروه وقاتلوا معه أطلقهم ففعلوا ذلك . وقاتل أباه ، فهزمه . وملك طاهر البلاد ودخل أبوه إلى حصن له منيع فاحتمى به . وأحمتَ الناسُ طاهراً لحسنِ سيرته وسوءِ سيرةِ والدِهِ ، وأطلق طاهر الديلم . ثم إن أباه راسل أصحابه ليفسدهم عليه ، فلم يفعلوا فعدل إلى مخادعته ، وراسله يظهر له الندم على ما كان منه ، ويستميله بأنه ليس له ولد غيره ، وأنه يخاف أن يموت فيملك بلاده غير ولده ، ثم استدعاه إليه جريدة ليجتمع به ويعرفه أحواله فتواعدا تحت قلعة خلف . فاتاه ابنه جريدة، ونزل هو إليه كذلك . وكان قد كمن بالقرب منه كميناً، فلمَّا لقيه اعتنقه وبكى خلف ، وصاح في بكائه فخرج الكمين وأسروا طاهر فقتله أبوه بيده وغسله ودفنه ولم يكن له ولد غيره . فلمَّا قُتِلَ طمع الناس في خلف لأنهم كانوا يخافون ابنه لشهامته . وقصده حينئذ محمود بن سبكتكين فملك بلاده على ما نذكره ،

وأما العتبي ، فذكر في سبب فتحها غير هذا وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة ثار الأتراك ببغداد بنائب السلطان – وهو أبو نصر سابور– فهرب منهم ووقعت الفتنة بين الأتراك والعامة من أهل الكرخ ، وقتل بينهم قتلى كثيرة . ثم إن أهل السُّنة من أهل بغداد ساعدوا الأتراك على أهل الكرخ ، فضعفوا عن الجميع فسعى الأشراف في إصلاح الحال فسكنت الفتنة . وفيها وُلدَ الأمير أبو جعفر عبد اللّه بن القادر وهو القائم بأمر الله (1) . وفيها في ربيع الأول توفي أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى

(1) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية 11 / 351 " ولد في يوم الخميس الثامن عشر من ذي القعدة وهذا هو الذى صارت إليه الخلافة" .

وكان فاضلاً عالماً بعلوم الاسلام ، وبالمنطق وكان يجلس للتحديث وروى الناس عنه (1) . وفيها توفي القاضي أبو الحسن الجزري ، وكان على مذهب داود الظاهري ، وكان يصحب عضد الدولة قديماً(2). وفيها توفي أبو عبد الله الحسين (3) بن الحجاج الشاعر، بطريق النيل (4) وحُمِلَ إلى بغداد وديوانه مشهور:كل وفيها توفي بكران بن أبي الفوارس خال الملك جلال الدولة بواسط . وفيها توفي جعفر بن الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات المعروف بابن حنزابة الوزير(4) ومولده سنة ثمان وثلاثمائة ، وكان سار إلى مصر فولي وزارة كافور وزوَى حديثاً كثيراً .

(ا) هو أبو القاسم عيسى ابن الوزير على بن عيسى بن داود بن الجراح البغدادى الكاتب وكان ابوه من كبار الوزراء وكتب هو للطائع أيضاً وسمع الحديث الكثير . وكان صحيح السماع كثير العلوم . روى عن البغوى وطبقته . وكان عارفاً بالمنطق وعلم الأوائل فاتهموه بشيء من مذهب الفلاسفة لذلك . ومن جيد شعره قوله :

ربَّ ميتٍ قد صار بالعلم حياً ومبقىً قد مات جهلاً وغياً

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعدوا الحياة فى الجهل شيئاً

توفى فى أول ربيع الأول ودفن فى داره ببغداد البداية والنهاية 11/ 352 .

(2) هو عبد العزيز بن أحمد أبو الحسن الجزرى القاضى بالحر وحريم دار الخلافة وغير ذلك من الجهات. وكان فقيهاً إمام أهل الظاهر فى زمنه أخذ عن القاضى بشر بن الحسين وقدم من شيراز فى صحبة الملك عضد الدولة فاشتغل عليه فقهاء بغداد وكان لطيفاً.

قال أبو عبدالله الصيمرى: ما رأيت فقيهاً أنظر منه ومن أبى حامد الاسفرائنى الشافعى. البداية والنهاية 11 /352 وشذرات الذهب 3/ 137.

(3) الحسين بن أحمد بن الحجاج أبو عبدالله الشاعر الماجن كان من أولاد العمال والكتاب ببغداد ومن كبار شعراء الشيعة وولى هو حسبة بغداد فى ايام عز الدولة بختيار بن بويه فاستخلف عليها نواباً ستة وتشاغل هو بالشعر. ويقال: انه فى الشعر فى درجة امرىء القيس وإنه لم يكن بينهما مثلهما لأن كل واحد منهما مخترع طريقة. وكان يضرب به المثل فى السخف والمداعبة والاهاجى. البداية والنهاية 11 / 351، شذرات الذهب 3 / 136.

(4) " النيل " التى مات بها على وزن نهر النيل بلدة على الفرات بين بغداد والكوفة خرج منهما جماعة من العلماء وغيرهم والاصل فيه نهر حفره الحجاج بن يوسف فى هذا المكان ومخرجه من الفرات وسماه باسم نيل مصر وعليه قرى كثيرة.

(5) كان وزير بنى الاخشيد بمصر مدة إمارة كافور ثم استقل كافور بملك مصر واستمر على وزارته. ولما توفى

كافور استقل بالوزارة وتدبير المملكة لأحمد بن على بن الاخشيد بالدِيار المصرية والشامية .

و (حنزابة) بكسر الحاء المهملة وسكون النون وفتح الزاى وبعد الألف باء موحدة مفتوحة ثم هاء ساكنة وهى أم أبيه الفضل بن جعفر. والحنزابة فى اللغة المرأة القصيرة الغليظة ذكره القاضى ابن خلكان. .

ثم دخلت سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

ذكر وقعة ليمين الدولة بالهند

في هذه السنة أوقع يمين الدولة محمود بن سبكتكين بجيبال ملك الهند وقعة عظيمة، وسبب ذلك أنه لما اشتغل بأمر خراسان وملكها وفرغ منها ومن قتال خلف بن أحمد وخلا وجهه من ذلك أحبَّ أن يغزو الهند غزوة تكون كفارة لما كان منه من قتال المسلمين . فثنى عنانه نحو تلك البلاد فنزل على مدينة بُرْشَوْر فاتاه عدو الله جيبال ملك الهند في عساكر كثيرة . فاختار يمين الدولة من عساكره والمطوعة خمسة عشر ألفاً وسار نحوه ، فالتقوا في المحرم من هذه السّنة . فاقتتلوا وصبر الفريقان ، فلمَّا انتصف النهار انهزم الهند، وقتل فيهم مقتلة عظيمة، وأسر جيبال – ومعه جماعة كثيرة من أهله وعشيرته – وغنم المسلمون منهم أموالاً جليلة وجواهر نفيسة . وأخذ من عنق عدو الله جيبال قلادة من الجوهر العديم النظير قوِّمَتْ بمائتي ألف دينار(ا) وأصيب أمثالها في أعناق مقدمي الأسرى، وغنموا خمسمائة ألف رأس من العبيد وفتح من بلاد الهند بلاداً كثيرة . فلمَّا فرغ من غزواته أحبَّ أن يطلق جيبال ليراه الهنود في شعار الذل ، فأطلقه بمال قرره عليه فأدى المال (2) ، ومن عادة الهند أنهم من حصل منهم في أيدي المسلمين أسيراً لم ينعقد له بعدها رياسة فلمَّا رأى جيبال حاله بعد خلاصه حلق رأسه ، ثم ألقى نفسه في النار فاحترق بنار الدنيا قبل نار الآخرة .

(1) في البداية والنهاية 11 / 352 " قيمتها ثمانون ألف دينار " وفي النجوم الزاهرة " فنصر الله ابن سبكتكين وقتل من الكفار خمسة آلاف ومن الفيلة خمسة عشر فيلاً " .

(2) في العتبي " فواقفه - أي صالحه - على خمسين رأساً من خفات الأفيال وارتهن ابناً وحافداً له على الوفاء بها على الكمال وعاد الكافر وراءه حتى استقر مكانه كاتب ابنه أندبال " .

ذكر غزوة أخرى إلى الهند أيضاً

فلمَّا فرغ يمين الدولة من أمر جيبال رأى أن يغزو غزوة أخرى ، فسار نحو ويهند ، فأقام عليها محاصراً لها حتى فتحها قهراً . وبلغه أن جماعة من الهند قد اجتمعوا بشعاب تلك الجبال عازمين على الفساد والعناد فسيَّر إليهم طائفة من عسكره ، فأوقعوا بهم وأكثروا القتل فيهم ، ولم ينجُ منهم إلا الشريد الفريد، وعاد إلى غزنة سالماً ظافراً .

ذكر الحرب بين قرواش وعسكر بهاء الدولة

في هذه السنة سيَّر قرواش بن المقلد جمعاً من عقيل إلى المدائن فحصروها، فسيَّر إليهم أبو جعفر نائب بهاء الدولة جيشاً فأزالوهم عنها. فاجتمعت عقيل ، وأبو الحسن مزيد في بني أسد وقويت شوكتهم ، فخرج الحجاج إليهم واستنجد خفاجة وأحضرهم من الشام ، فاجتمعوا معه واقتتلوا بنواحي باكرم في رمضان ، فانهزمت الديلم والأتراك وأسِرَ منهم خلق كثير واستبِيْحَ عسكرهم . فجمع أبو جعفر من عنده من العسكر وخرج إلى بني عقيل وابن مزيد فالتقوا بنواحي الكوفة واشتد القتال بينهم فانهزمت عقيل ، وابن مزيد وقتل من أصحابهم خلق كثير وأسِرَ مثلهم ، وسار إلى حلل ابن مزيد فأوقع بمن فيها ، فانهزموا أيضاً فنُهِبَت الحلل والبيوت والأموال ورأوا فيها من العين والمصاغ والثياب ما لا يقدر قدره ، ولما سار أبو جعفر عن بغداد اختلت الأحوال بها وعاد أمر العيارين ظهر، واشتدّ الفساد وقُتِلَت النفوس ، ونُهِبَت الأموال وأحرقت المساكن . فبلغ ذلك بهاء الدولة فسيَّر إلى العراق لحفظه أبا علي بن أبي جعفر المعروف بأستاذ هرمز، ولقبه عميد

الجيوش . وأرسل إلى أبي جعفر الحجاج وطيَّب قلبه ، ووصل أبو علي إلى بغداد، فأقام السياسة ومنع المفسدين ، فسكنت الفتنة وأمن الناس . وفيها توفي محمد بن محمد بن جعفر أبو بكر(1) الفقيه الشافعي المعروف بابن الدقاق صاحب الأصول .

(ا)كان معدوداً من الفضلاء توفي ببغداد.

ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

ذكر ملك يمين الدولة سجستان

في هذه السّنة ملك يمين الدولة محمود بن سبكتكين سجستان ، وانتزعها من يد خلف بن أحمد . قال العتبي : وكان سبب أخذها، أن يمين الدولة لما رحل عن خلف بعد أن صالحه ، كما تقدم ذكره سنة تسعين عهد خلف إلى ولده طاهر وسئم إليه مملكته ، وانعكف هو على العبادة والعلم ، وكان عالماً فاضلاً محباً للعلماء. وكان قصده أن يوهم يمين الدولة أنه ترك الملك وأقبل على طلب الآخرة، ليقطع طمعه عن بلاده . فلمَّا استقرّ في الملك عق أباه وأهمل أمره . فلاطفه أبوه ورفق به . ثم إنه تمارض في حصنه المذكور، واستدعى ولده ليوصي إليه فحضر عنده غير محتاط ، ونسي إساءته ، فلمَّا صار عنده قبض عليه وسجنه وبقي في السجن إلى أن مات فيه ، وأظهر عنه أنه قتل نفسه ، ولما سمع عسكر خلف وصاحب جيشه بذلك تغيرت نياتهم في طاعته ، وكرهوه وامتنعوا عليه في مدينته . وأظهروا طاعة يمين الدولة وخطبوا له وأرسلوا إليه يطلبون من يتسلَّم المدينة ففعل ، وملكها واحتوى عليها في هذه السنة، وعزم على قصد خلف وأخذ ما بيده والاستراحة من مكره . فسار إليه – وهو في حصن الطاق – وله سبعة أسوار محكمة ، يحيط بها خندق عميق عريض لا يخاض إلّا من طريق على جسر، يرفع عند الخوف ، فنازله وضايقه فلم يصلْ إليه . فأمر بطمِّ الخندق ، ليمكن العبور إليه فقُطِعَت الأخشاب وطمَّ بها وبالتراب في يوم واحد مكاناً يعبرون فيه ويقاتلون منه ، وزحف الناس ومعهم الفيول ، واشتدت الحرب وعظم الأمر. وتقدم أعظم الفيول إلى باب السور، فاقتلعه بنابيه وألقاه

وملكه أصحاب يمين الدولة ، وتأخَّر أصحاب خلف إلى السور الثاني ، فلم يزل أصحاب يمين الدولة يدفعونهم عن سور سور. فلمَّا رأى خلف اشتداد الحرب وأن أسواره تملك عليه ، وأن أصحابه قد عجزوا، وأن الفيلة تحطم

الناس ، طار قلبه خوفاً وفرقاً . فأرسل يطلب الأمان فأجابه يمين الدولة إلى ما طلب وكف عنه . فلمَّا حضر عنده أكرمه ، واحترمه وأمره بالمقام في أي البلاد شاء، فاختار أرض الجوزجان . فسيَّر إليها في هيئة حسنة، فأقام بها نحو أربع سنين . ونقل إلى يمين الدولة عنه أنه يراسل ايلك الخان يغريه بقصد يمين الدولة فنقله جردين (ا) ، واحتاط عليه هناك إلى أن أدركه في رجب سنة تسع وتسعين . فسلم يمين الدولة جميع ما خلَّفه إِلى ولده أبي حفص . وكان خلف مشهوراً بطلب العلم وجمع العلماء . وله كتاب صنفه في تفسير القرآن من أكبر الكتب .

ذكر الحرب بين عميد الجيوش أبي علي وبين أبي جعفر الحجاج

في هذه السّنة كانت الحرب بين أبي علي –بن أبي جعفر أستاذ هرمز، وبين أبي جعفر الحجاج . وسبب ذلك أن أبا جعفر كان نائباً عن بهاء الدولة بالعراق ، فجمع وغزا واستناب بعده عميد الجيوش أبا علي. فأقام أبو جعفر بنواحي الكوفة، ولم يستقر بينه وبين أبي علي صلح . وكان أبو جعفر قد جمع جمعاً من الديلم ، والأتراك ، وخفاجة فجمعِ أبو علي أيضاً جمعاً كثيراً، وسار إليه والتقوا بنواحي النعمانية، فاقتتلوا قتالا عظيماَ، وأرسل أبو علي بعض عسكره ، فأتوا أبا جعفر من ورائه ، فانهزم أبو جعفر ومضى منهزماً. فلمَّا أمّن أبو علي سار من العراق بعد الهزيمة إلى خوزستان ، وبلغ السوس . وأتاه الخبر أن أبا جعفر قد عاد إلى الكوفة ، فرجع إلى العراق وجرى بينه وبين أبي جعفر منازعات ومراجعات إلى أن آل الأمر إلى الحرب ، فاستنجد كل واحد منهم بني عقيل ، وبني خفاجة ،

وبني أسد. فبينما هم كذلك أرسل بهاء الدولة إلى عميد الجيوش أبي علي يستدعيه ، فسار إليه إلى خوزستان لأجل أبي العباس بن واصل صاحب البطيحة .

ذكر عصيان سجستان وفتحها ثانية

لما ملك يمين الدولة سجستان ، عاد عنها واستخلف عليها أميراً كبيراً من أصحابه يعرف بقُنْجِي الحاجب فاحسن السيرة في أهلها. ثم إن طوائف من أهل العيث والفساد، قدموا عليهم رجلاً يجمعهم ، وخالفوا على السلطان . فسار إليهم يمين

(1) في العتبي " جرديز " في آخره زاي .

الدولة، وحصرهم في حصن أرْك (1)، ونشبت الحرب في ذي الحجة من هذه السنة . فظهر عليهم وظفر بهم وملك حصنهم ، وأكثر القتل فيهم وانهزم في آثارهم من يطلبهم فأدركوهم ،فأكثروا القتل فيهم حتى خلت سجستان منهم وصفت له واستقرَّ ملكها عليه ، فاقطعها أخاه نصراً مضافة إِلى نيسابور.

ذكر وفاة الطائع للّه (2)

في هذه السنة في شوّال منها توفي الطائع لله المخلوع ابن المطيع لله وحضر الأشراف ، والقضاة، وغيرهم دار الخلافة للصلاة عليه والتعزية . وصلّى عليه القادر بالله ، وكبَّر عليه خمساً. وتكلمت العامة في ذلك فقيل : إن هذا مما يفعل بالخلفاء، وشيَّع جنازته ابن حاجب النعمان ورثاه الشريف الرضي فقال :

ما بعدَ يومِك ما يسلو به السالي ومثل يومِكَ لم يخطرْ على بالي

وهي طويلة .

(ا) بين العتبى عدد جيشه قال : فلمَّا رأى السلطان انتقاض سجستان على خلفائه وأمنائه بادر إليها في عشرة آلات رجل من نخب العسكر ومعه صاحب الجيش أبو المظفر بن ناصر الدين ، والتونتاش الحاجب ، وأبو عبدالله محمد بن ابراهيم الطائي وحصر المردة العتاة في حصار ارك " وأرك هو بضم الهمزة وراء مهملة ساكنة .

(2) هو الطائع لله أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله الفضل بن المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد الموفق العباسى نزل له ابوه عن الخلافة لمرض تمادى به - وعمر ثلاث وأربعون سنة - فركب وعليه البردة ومعه الجيش وبين يديه سبكتكين. وخلع من الغد على سبكتكين خلع السلطنة وعقد له اللواء ولقبه نصر الدولة ثم وقع بين عز الدولة وسبكتكين فدعا سبكتكين الأتراك لنفسه فأجابوه وجرى بينه وبين عز الدولة حروب. دخل عليه بهاء الدولة وكان ضيق عليه بسبب المال وقد تقدم فقبل الأرض ووقف ثم أومأ الى جماعة من أصحابه -كان واطأهم على ما يفعلونه به - فجذبوا الطائع لله من سرير. ولفوه فى كساء وأخرجوه من الباب المعروف بباب بدر وحملوه الى دار المملكة ملفوفاً على قفا فراش ثم اشهد عليه بخلع نفسه وسملت عيناه وقطع قطعة من احدى أذنيه ، وكان بهاء الدولة قبض عليه فى يوم السبت تاسع عشر شعبان سنة احدى وثمانين وثلاثمائة - انظر صفحة 147 من هذا الجزء- وفى ليلة الأحد ثالث رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة سلم الطائع لله الى القادر بالله فأنزله حجرة من خاص حجر. ووكل به من ثقات خدمه من يقوم بخدمته ويحفظه واحسن ضيافته ومراعاة أموره ، غير أنه تقدم بجدع انفه فقطع يسيراً من جانب انفه مع ما كان قطع اولاً من أذنه - انظر ص 157 من هذا الجزء - وكان مربوعاً أبيض أشقر مجدور الوجه كبير الأنف أبخر الفم شديد القوى فى خلقه حدة دفن بالرصافة. البداية والنهاية 11 / 355 ، شذرات الذهب 3/143 .

ذكر وفاة المنصور بن أبي عامر

في هذه السّنة توفي أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري الملقب بالمنصور أمير الأندلس ، مع المؤيد هشام بن الحاكم ، وقد تقدم ذكره عند ذكر المؤيد وكان أصله من الجزيرة الخضراء من بيت مشهور بها وقدم قرطبة طالباً للعلم ، وكانت له همة، –فتعلق بوالدة المؤيد في حياة أبيه المستنصر. فلمَّا ولي هشام كان صغيراً فتكفل المنصور لوالدته القيام بأمره وإخماد الفتن الثائرة عليه ، وإقرار الملك عليه فولَّته أمره ، وكان شهماً شجاعاً قوي النفس ، حسن التدبير فاستمال العساكر وأحسن إليهم فقوي أمره ، وتلقَّب بالمنصور. وتابع النزوات إلى الفرنج وغيرهم وسكنت البلاد معه ، فلم يضطرب منها شيء . وكان عالماً محباً للعلماء يكثر مجالستهم ، ويناظرهم ، وقد أكثر العلماء ذكر مناقبه ، وصنفوا لها تصانيف كثيرة . ولما مرض كان متوجهاً إلى الغزو فلم يرجع ، ودخل بلاد العدو فنال منهم وعاد – وهو مثقل – فتوفي بمدينة سالم . وكان قد جمع الغبار الذي وقع على درعه في غزواته شيئاً صالحاً . فأمر أن يجعل في كفنه تبركاً به . وكان حسن الاعتقاد والسيرة عادلًا، كانت أيامه أعياداً لنضارتها وأمن الناس فيها رحمه الله . وله شعر جيد وكانت أمه تميمية . ولما مات ولي بعده ابنه المظفر أبو مروان عبد الملك فجرى مجرى أبيه .

ذكر محاصرة فلفل مدينة قابس وما كان منه

في هذه السّنة سار يحيى بن علي الإندلسي ، وفلفل من طرابلس إلى مدينة قابس في عسكر كثير، فحصروها ثم

رجعوا إلى طرابلس . ولما رأى يحيى بن علي ما هو عليه من قلة المال ، واختلال حاله وسوء مجاورة فلفل وأصحابه له رجع إلى مصر إلى الحاكم بعد أن أخذ فلفل وأصحابه خيولهم وما اختاروه من عددهم بين الشراء والغصب . فأراد الحاكم قتله ، ثم عفا عنه .

وأقام فلفل بطرابلس إلى سنة أربعمائة فمرض وتوفي وولي أخوه ورو فأطاعته زناتة، واستقام أمره . فرحل باديس إلى طرابلس لحرب زناتة . فلمَّا بلغهم رحيله فارقوها ، وملكها باديس ففرَّ أهلها . وأرسل ورو أخو فلفل إلى باديس يطلب أن يكون هو ومن معه من زناتة في أمانه ، ويدخلون في طاعته ويجعلهم عمالًا كسائر عماله فأمَّنهم

وأحسنَ إليهم ، وأعطاهم نِفْزاوَة(1) ، وقسطيلة على أن يرحلوا من أعمال طرابلس ففعلوا ذلك . ثم إن خزرون بن سعيد أخا ورو، جاء إلى باديس ودخل في طاعته ، وفارق أخاه فأكرمه باديس وأحسن إليه . ثم إنّ أخاه خالف على باديس ، وسار إلى طرابلس فحصرها وسار إليه خزرون لمنعه عن حصارها وكان ذلك سنة ثلاث وأربعمائة .

ذكر عدة حوادث

في هذه المنشة في رمضان طلع كوكب كبير له ذؤابة. وفي ذي القعدة انقض كوكب كبير أيضاً كضوء القمر عند تمامه وانمحق نوره وبقي جرمه يتموج . وفيها اشتدَت الفتنة ببغداد وانتشر العيارون والمفسدون ، فبعث بهاء الدولة عميد الجيوش أبا علي بن أستاذ هرمز إلى العراق ليدبر أمره ، فوصل إلى بغداد فزُيِنَتْ له وقمع المفسدين ، ومنع السنية والشيعة من إظهار مذاهبهم؛ ونُفي بعد ذلك ابن المعلم فقيه الإمامية فاستقام البلد .

وفيها في ذي الحجة وُبدَ الأمير أبو علي الحسن بن بهاء الدولة وهو الذي ملك الأمر وتلقَّب بمشرف الدولة . وفيها هرب الوزير أبو العباس الضبي وزير مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه من الري إلى بدر بن حسنويه ، فأكرمه وقام بالوزارة بعده الخطير أبو علي . وفيها ولَّى الحاكم بأمر الله على دمشق وقيادة العساكر الشامية أبا محمد الأسود – واسمه تمضولت – فقدم إليها ونزل قصر الإمارة ، فأقام والياً عليها سنة وشهرين ، ومن أعماله فيها أنه أطاف إنساناً مغربياً وشهَّره ونادى عليه ، هذا جزاء من يحب أبا بكر، وعمر ثم أخرجه عنها(

2). وفيها توفي عثمان بن جني النحوي مصنف اللمع وغيرها ببغداد،

(1) بالكسر ثم السكون وزاى وبعد الألف واو مفتوحة مدينة من اعمال افريقية .

(2) فى تاريخ الاسلام للذهبى فى حوادث سنة 393 امر نائب دمشق تمصولت - بالصاد المهملة - الاسود الحاكمى بمغربى فطيف به على حمار ونودى عليه : هذا جزاء من يحب ابا بكر وعمر ثم امر به فأخرج الى الرملة فضرب عنقه هناك رضى الله عنه ولا رضى عن قاتله ، وفى القلانسى فى حوادث سنة 396 وصل القائد طزملت بن بكار البربرى لدمشق والياً عليها من قبل الحاكم بأمر الله فى يوم الاحد لست بقين من ذى القعدة من السنة . وكان هذا طزملت عبداً لابن وفرى والى القيروان فولاه طرابلس الغرب فجار على اهلها وظلمهم وأخذ أموالهم فحصل له منهم مال عظيم فلمَّا انتهى خبر ظلمه الى مولاه طلبه والتمس اشخاصه الى القيروان لكشف الأمر فخافه وانهزم اشفاقاً على نفسه وماله ووصل الى مصر وحمل بعض ما كان معه الى الحاكم فتمكنت حاله عنده وتأثلت منزلته منه وولاه دمشق فأقام والياً عليها الى المحرم سنة 394 فصرف عنها بخادم من خدم الحضرة يقال له : القائد مفلح اللحيانى اهـ .

وله شعر بارز(1)، والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني بالري وكان إماماً فاضلاً ذا فنون كثيرة(2)، والوليد بن بكر مخلد الأندلسي الفقيه المالكي ، وهو محدَث مشهور(3) وفيها توفي أبو الحسن محمد بن عبد الله السلامي الشاعر البغدادي (4)، ومن شعره يصف الدرع وهي هذه الأبيات.

يـا رب سابغـة حبتنـي نعمــة كافأتُها بالسوءِ غيرُ مفندِ

أضحَتْ تصون عن المنايـا مهجتي وظللْتُ أبذلها لكل مهندِ

(ا) هو الامام أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي النحوى المشهور ولد قبل الثلاثين والثلاثمائة بالموصل . وكان ابوه جني مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد بن أحمد الازدى الموصلي .

اخذ الأدب عن الشيخ أبي علي الفارسي وفارقه وقعد للاقراء بالموصل وكان من احذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف ولما مات ابو علي تصدر ابن جني مكانه ببغداد . وله مصنفات مفيدة ، منها كتاب الخصائص – طبع منه الجزء الأول . وسر الصناعة . والمذكر والمؤنث . والمقصود والمدود . والتمام في شرح الهذليين . والمنهج في اشتقاق اسماء شعراء الحماسة . والمسائل الخاطريات . والمصنف في شرح تصريف ابى عثمان المازنى . والتلقين في النحو . وشرح ديوان المتنبى وسماه الصبر الى غير ذلك. توفي يوم الجمعة لليلتين

بقيتا من صفر ببغداد. ارخ وفاته ابن خلكان فى الوفيات. والسيوطى فى بنية الوعاة سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

(2) هو أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى قافى الرى سمع الحديث الكثير وترقى فى العلوم حتى برع فى الفقه. والشعر. والنحو. وغير ذلك من العلوم وأقر له الناص بالتفرد. البداية والنهاية 11 / 354.

(3) هو الوليد بن بكر بن مخلد أبو العباس الغمرى السرقسطى الحافظ العالم الرحال رحل من اقصى الأندلس الى خراسان فى طلب العلم وحدث بكتاب معرفة الرجال لأحمد بن عبدالله العجلى عن على بن أحمد بن الخصيب. وحدث عن الحسن بن وضيق وخلق، روى عنه الحافظ عبد الغنى المصرى، وأبو ذر بن أحمد الهروى. وابو الحسن العتيقى وغيرهم، وكان اماماً عالماً بالفقه. والنحو. والحديث والأدب، والشعر. (الغمرى) بالغين المعجمة. واصله عمرى بالعين المهملة نقطها حينما دخل افريقية ليسلم من دولة الرفض وقال: اذا رجعت الى الأندلس جعلت النقطة التى على العين ضمة. والسرقسطى بفتحتين وضم القاف وسكون السين المهملة نسبة الى سرقسطة مدينة بالأندلس.

(4) قال أبو منصور الثعالبى فى اليتيمة فى وصفه 2/354 : من أشهر أهل العراق قولاً بالاطلاق وشهادة بالاستحقاق وعلى ما أجريته من ذكره شاهد عدل من شعره. والذى كتبت من محاسنه نزه العيون ورقى القلوب ومنى النفوس. ومن خبره أنه ولد فى كرخ بغداد آخر نهار يوم الجمعة لست خلون من رجب سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

ونسبته في بني مخزوم ابن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وامه شاعرة . وقال الشعر وهو ابن عشر سنين .

(السلامى) بفتح السين المهملة واللام الف المخففة وبعدها ميم . هذه النسبة الى مدينة دار السلام بغداد . وارخ وفاته الثعالبى سنة اربع وتسعين .

وله من أحسن المديح في عضد الدولة :

وكنْتُ وعزمي والظلام وصارمي ثلاثة أشباح كما اجتمع النسرُ

وبشرت آمالي بملك هو الورى ودار هي الدنيا ويوم هو الدهرُ

وقدم الموصل فاجتمع بالخالديين من الشعراء . منهم أبو الفرج الببغاء(ا)، وأبو الحسين التلعفري فامتحنوه ، صان صبياً فبرز عند الامتحان . وفيها توفي محمد بن العباس الخوارزمي الأديب الشاعر، وكان فاضلاً وتوفي بنيسابور . وفيها توفي محمد بن عبد الرحمن بن زكريا أبو طاهر المخلص المحدث المشهور(1)، وأول سماعه سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة .

(ا) هو شيخ كبير الرواية سمع البغوى وابن صاعد وخلقا وعنه البرقاني . والأزهرى . والخلال : والتنوخى . وكان ثقة من الصالحين مسند وقته . توفى فى رمضان وله ثمان وثمانون سنة .

ثم دخلت سنة اربع وتسعين وثلاثمائة

ذكر استيلاء أبي العباس على البَطيحَة(1)

في هذه السنة في شعبان غلب أبو العباس بن واصل على البطيحة، وأخرج منها مهذب الدولة، وكان ابتداء حال أبي العباس أنه كان ينوب عن طاهر بن زيرك الحاجب في الجهبذة ، وارتفع معه . ثم أشفق منه ففارقه ، وسار إلى شيراز، واتصل بخدمة فولاذ وتقدم عنده ، فلمَّا قبض على فولاذ عاد أبو العباس إلى الأهواز بحال سيئة فخدم فيها، ثم أصعِدَ إلى بغداد، فضاق الأمر عليه، فخرج منها وخدم أبا محمد بن مكرم ، ثم انتقل إلى خدمة مهذب الدولة بالبطيحة، فجرَّد مَعه عسكراً وسيَّره إلى حرب لشكرستان حين استولى على البصرة، ومضى إلى سيراف ، وأخذ ما بها لأبي محمد بن مكرم من سفن ومال ، وأتى أسافل دجلة فغلب عليها، وخلع طاعة مهذب الدولة فأرسل إليه مهذب الدولة مائة سميرية ، فيها مقاتلة ، فغرق بعضها وأخذ أبو العباس ما بقي منها ، وعدل إلى الابلة(2) فهزم أبا سعد بن ماكولا – وهو يصحب لشكرستان – فانهزم أيضاً لشكرستان من بين يديه ، واستولى ابن واصل على البصرة ، ونزل دار الامارة وأمّن الديلم ، والأجناد . وقصد لشكرستان مهذب الدولة فأعاده إلى قتال أبي العباس في جيش ، فلقيه ابو العباس وقاتله فانهزم لشكرستان ، وقتل. كثير من رجاله واستولى أبو العباس على ثقله وأمواله وأصعِدَ إلى البطيحة . وأرسل إلى مهذب الدولة يقول له : قد هزمت جندَكَ ودخلت بلدَكَ فخذْ لنفسك .

(ا) هى يفتح الباء الموحدة وكسر ثانيها جمعها البطائح، والبطحاء واحد ، وتبطَّح السيل اذا اتسع فى الأرض ،وبذلك

سميت بطائح واسط وإن المياه تبطحت فيها اى سالت واتسعت فى الأرض . وهى ارض واسعة بين واسط والبصرة وكانت قديماً فرى متصلة وأرضاً عامرة .

(2) بضم أوله وثانيه وتشديد اللام وفتحها بلدة على شاطىء دجلة البصرة العظمى فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة وهى اقدم من البصرة .

فسار مهذب الدولة إلى بشامني (ا) وصار عند أبي شجاع فارس بن مردان ، وابنه صدقة فغدرا به وأخذا أمواله ، فاضطرَّ إلى الهرب ، وسار إلى واسط ، فوصلها على أقبح صورة، فخرج إليه أهلها فلقوه ، واصعدَتْ زوجته ابنة الملك بهاء الدولة إلى بغداد وأصعِدَ مهذب الدولة إليها، فلم يمكن من الوصول إليها . وأما ابن واصل فإنه استولى على أموال مهذب الدولة وبلاده ، وكانت عظيمة ، ووكل بدار زوجته ابنة بهاء الدولة من يحرسها، ثم جمع كل ما فيها وأرسله إلى أبيها واضطرب عليه أهل البطائح ، واختلفوا فسيَّر سبعمائة فارس إلى الجازرة (2)لإصلاحها ، فقاتلهم أهلها فظفروا بالعسكر، وقتلوا فيهم كثيراً . وانتشر الأمر على أبي العباس بن واصل فعاد إلى البصرة خوفاً أن ينتشر الأمر عليه بها، وترك البطائح شاغرة ليس فيها أحد يحفظها . ولما سمع بهاء الدولة بحال أبي العباس ، وقوته خافه على البلاد ، فسار من فارس إلى الأهواز لتلافي أمص ه ، وأحضر عنده عميد الجيوش من بغداد وجهز معه عسكراً كثيفاً وسيرهم إلى أبي العباس ، فاتى إلى واسط ، وعمل ما يحتاج إليه من سفن وغيرها . وسار إلى البطائح وفرَّق جنده في البلاد لتقرير قواعدها . وسمع أبو العباس بمسيره إليه فاصعدَ إليه من البصرة وأرسل يقول له : ما أحوجك تتكلف الانحدار ، وقد أتيتك فخذ لنفسك . ووصل إلى عميد الجيوش وهو على تلك الحال من تفرق العسكر عنه ، فلقيه فيمن معه بالصليق ،فانهزم عميد الجيوش ووقع من معه بعضهم على بعض ولقي عميد الجيوش شدة إلى أن وصل إلى واسط وذهب ثقله ، وخيامه ، وخزائنه . وفأخبره خازنه أنه قد

دَفن في الخيمة ثلاثين ألف دينار وخمسين ألف درهم ، فأنفذ أحضرها فمَوي بها . ونذكر باقي خبر البطائح سنة خمس وتسعين .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قلَّد بهاء الدولة النقيب أبا أحمد الموسوي والد الشريف الرضي نقابة العلويين بالعراق وفضاء القضاة والحج والمظالم ، وكتب عهده بذلك من شيراز ولقب الطاهر ذا المناقب فامتنع الخليفة من تقليده قضاء القضاة وامضى ما سواه (3).

(1)لم يذكرها ياقوت في معجمه.

(2) في معجم ياقوت " الجازر " بدون هاء.

(3) وتفصيل الحادثة كما هى فى البداية والنهاية 11 / 356 ط. دار الكب العلمية ببيروت.

وفيها خرج الأصيفر المنتفيقي على الحاج ، وحصرهم بالبطانية، وعزم على أخذهم . وكان فيهم أبو الحسن الرفاء ، وأبو عبدالله الدجاجي ،وكانا يقرآن القرآن بأصوات لم يسمعْ مثلًها . فحضرا عند الأصيفر وقرا القران ، فترك الحجاج ، وعاد وقال لهما : قد تركت لكما ألف ألف دينار.

ثم دخلت سنة خمس وتسعين وثلاثمائة

ذكر عود مهذب الدولة إلى البطيحة

قد ذركنا إنهزام عميد الجيوش من أبي العباس بن واصل ، فلمَّا انهزم أقام بواسط وجمع العساكر عازماً على العود إلى البطائح ، وكان أبو العباس قد ترك بها نائباً له فلم يتمكن من المقام بها، ففارقها إلى صاحبه . فأرسل عميد الجيوش إليها نائباً من أهل البطائح ، فعسف الناس وأخذ الأموال ولم يلتفت إلى عميد الجيوش . فأرسل إلى بغداد، وأحضر مهذب الدولة وسيَّر معه العساكر في السفن إلى البطيحة، فلمَّا وصلها لقيه أهل البلاد . وسروا بقدومه وسلموا إليه جميع الولايات ، واستقرَّ عليه لبهاء الدولة كل سنة خمسون ألف دينار، ولم يعرض إليه ابن واصل فاشتغل عنه بالتجهيز إلى خوزستان ، وحفر نهراً إلى جانب النهر العضدي بين البصرة والأهواز وكثر ماؤه ، وكان قد اجتمع عنده جمع كثير من الديلم وأنواع الاجناد . ولما كثر ماله وذخائره ، وما استولى عليه من البطيحة فقوي طمعه في الملك ، وسار هو وعسكره إلى الأهواز في ذي القعدة ، فجهَّزَ إليه بهاء الدولة جيشاً في الماء، فالتقوا بنهر السدرة فاقتتلوا . وخاتلهم أبو العباس وسار إلى الأهواز وتبعه من كان قد لقيه من العسكر. فالتقوا بظاهر الأهواز وانضاف إلى عسكر بهاء الدولة العساكر التي بالأهواز. فاستظهر أبو العباس عليهم ، ورحل بهاء الدولة إلى قنطرة أربق عازماً على المسير إلى فارس ، ودخل أبو العباس إلى دار المملكة، وأخذ ما فيها من الأمتعة والأثاث المتخلف عن بهاء الدولة إلا أنه لم يمكنه المقام ، لأن بهاء الدولة كان قد جهز عسكَراً ليسير في البحر إلى البصرة، فخاف أبو العباس من ذلك ، وراسل بهاء

الدولة وصالحه ، وزاد فى أمطاله ، وحلف كل واحد منهما لصاحبه ، وعاد إلى البصرة، وحمل معه كل ما أعده في دار بهاء الدولة، ودور الأكابر ، والقواد، والتجار . .

ذكر غزوة بَهَاطْيَة(1)

في هذه السّنة غزا يمين الدولة بهاطية من أعمال الهند – وهي وراء المولتان – وصاحبها يعرف ببحيرا(2) وهي مدينة حصينة عالية السور يحيط بها خندق عميق ، فامتنع صاحبها بها، ثم إنه خرج إلى ظاهرها فقاتل المسلمين ثلاثة أيام ثم انهزم في الرابع ، وطلب المدينة ليدخلها هو وأصحابه فسبقهم المسلمون إلى باب البلد، فملكوه عليه وأخذتهم السيوف من بين أيديهم ومن خلفهم . فقتل المقاتلة وسبيت الذرية وأخِذَت الأموال . وأما بحيرا فإنه لما عاين الهلاك أخذ جماعة من ثقاته ، وسار إلى رؤوس تلك الجبال . فسير إليه يمين الدولة سرية فلم يشعر لهم بحيرا إلّا وقد أحاطوا به وحكموا السيوف في أصحابه فلفا أيقن بالعطب ، أخذ خنجراً معه فقتل به نفسه . وأقام يمين الدولة ببهاطية حتى أصلح أمرها ، ورتب قواعدها ، وعاد عنها إلى غزنة واستخلف بها من يعلم من أسلم من أهلها ما يجب عليهم تعليمه ، ولقي في عوده شدَة شديدة من الأمطار، وكثرتها وزيادة الأنهار، فنرق منه ومن عسكره شيء عظيم .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة كان بأفريقية غلاء شديد، بحيث تعطَّلت المخابز، والحمامات، وهلك الناس وذهبَت الأموَال من الأغنياء وكَثُرَ الوباء، فكان يموت كل يوم ما بين خمسمائة إلى سبعمائة .

وفيها وصل قرواش ، وأبو جعفر الحجاج إلى الكوفة فقبضا على أبي علي عمر بن محمد بن عمر العلوي ، وأخذ منه

قرواش مائة الف دينار ، وحمله معه إِلى الأنبار . وفيها توفي إِسحاق بن محمد بن حمدان بن محمد بن نوح أبو إبراهيم المهلبي. وفيها توفي محمد بن علي بن الحسين بن الحسن بن أبي إسماعيل العلوي الهمذاني الفقيه الشافعي رحمه الله تعالى(3) .

(ا) بَهاطيَة : من ترى بغداد .

(2) في العتبى " المعروف ببجهرا " ياء موحدة مكسورة وبعدها جيم غليظة مشددة ثم هاء مثبتة في الخط ساقطة في اللفظ وبعد الراء غير المعجمة الف هكذا ضبطه صدر الافاضل وقال : هو من الأعلام الهندية .

(3) هو محمد بن أبي اسماعيل علي بن الحسين بن الحسن بن القاسم أبي الحسن العلوى . ولد بهمذان ونشأ ببغداد وكتب الحديث عن جعفر الخلدى وغيره . وسمع بنيسابور من الأصم وغيره . ودرس فقه الشافعي على علي بن أبي هريرة ثم دخل الشام فصحب الصرفية حتى صار من كبارهم وحج مرات على الوحدة توفي في محرم هذه السنة.

ثم دخلت سنة ست وتسعين وثلثمائة

ذكر غزوة المُولْتَان (1)

في هذه السنة غزا السلطان يمين الدولة المولتان . وكان سبب ذلك أن واليها أبا الفتوح نقل عنه خبث اعتقاده ، ونسب إلى الإلحاد، وأنه قد دعا أهل ولايته إلى ما هو عليه فأجابوه ، فرأى يمين الدولة أن يجاهده ويستنزله عما هو عليه ، فسار نحوه فرأى الأنهار التي في طريقه كثيرة الزيادة عظيمة المدّ ، وخاصة سيحون . فإنه منع جانبه من العبور ، فأرسل إلى أندبال (2) يطلب إليه أن يأذن له في العبور ببلاده إلى المولتان ، فلم يجبه إلى ذلك ، فابتدأ به قبل المولتان ، وقال : نجمع بين غزوتين لأنه لا غزو إلا التعقيب . فدخل بلاده وجاسها وأكثر القتل فيها والنهب لأموال أهلها ، والِإحراق لابنيتها ، ففر أنْدبال من بين يديه وهو في أثره كالشهاب في أثر الشيطان من مضيق إلى مضيق إلى أن وصل إلى قِشْميْر(3) . ولما سمع أبو الفتوح بخبر إقباله إليه علم عجزه عن الوقوف بين يديه والعصيان عليه ، فنقل أمواله إلى سرنديب (4) وأخلى المولتان ، فوصل يمين الدولة إليها ونازلها ، فإذا أهلها في ضلالهم يعمهون ، فحصرهم وضيَّق عليهم ، وتابع القتال حتى افتتحها عنوة والزم أهلها عشرين ألف درهم عقوبة لعصيانهم .

(1)مّولْتَان : بضم أوله وسكون ثانيه واللام يلتقي فيه ساكنان وتاء مثناة من فوق وآخره نون ، وأكر ما يسمع في مُلتان بغير واو، وأكثر ما يكتب كما ههنا : بلد في بلاد الهند على سمت غزنة، قال الإصطخري : وأما المولتان في مدينة نحو نصف المنصورة ويسمى فرج بيت الذهب وبها صنم تعظمه الهند وتحج إليه من أقصى بلدانها .

(2) هو عظيم الهند.

(3)قشمير : بالكسر ثم السكون ، وكسر الميم وياء مثناة من تحت ساكنة، وراء، مدينة متوسطة لبلاد الهند .

(4) سرَندِيب : بفتح أوله وثانيه وسكون النون ودال مهملة مكسورة وياء مثناة من تحت ، ديب بلغة الهند، هو الجزيرة وسرن :لا الري ما هو. وهي جزيرة عظيمة في بحر هركند بأقصى بلاد الهند.

ذكر غزوة كواكير

ثم سار عنها إلى قلعة كواكير–وكان صاحبها يعرف ببيدا –وكان بها ستمائة صنم فافتتحها وأحرق الأصنام ، فهرب صاحبها إلى قلعته المعروفة بكالنجار ، فسار خلفه إليها – وهو حصن كبير يسع خمسمائة ألف إنسان ، وفيه خمسمائة فيل ، وعشرون ألف دابة ، وفي الحصن ما يكفي الجميع مدة – فلمَّا قاربها يمين الدولة وبقي بينهما سبعة فراسخ ، رأى من الغياض المانعة من سلوك الطريق ما لا حدّ عليه ، فأمر بقطعها ورأى في الطريق وادياً عظيم العمق بعيد القعر ، أمر أن يطمَّ منه مقدار ما يسع عشرين فارساً فطموه بالجلود المملوءة تراباً ، ووصل إلى القلعة فحصرها ثلاثاً وأربعين يوماً ، وراسله صاحبها في الصلح فلم يجبه ، ثم بلغه عن خراسان إختلاف بسبب قصد ايلك الخان لها ، فصالح ملك الهند على خمسمائة فيل وثلاثة آلاف منافضة . ولبس خلعة يمين الدولة بعد أن استعفى من شذ المنطقة فإنه اشتدَّ عليه ، فلم يجبه يمين الدولة إلى ذلك . فشذَ المنطقة وقطع أصبعه الخنصر وأنفذها إلى يمين الدولة توثقه فيما يعتقدونه ، وعاد يمين الدولة إلى خراسان لِإصلاح ما اختلف فيها ، وكان عازماً على الوغول في بلاد الهند .

ذكر عبور عسكر أيلك الخان إلى خراسان

كان يمين الدولة لما استقرّ له ملك خراسان ، وملك أيلك الخان ما وراء النهر، قد راسله ، ووافقه وتزوج ابنته ، وانعقدت بينهما مصاهرة ، ومصالحة فلم تزل السعاة حتى أفسدوا ذات بينهما . وكتم أيلك الخان ما في نفسه ، فلمَّا سار يمين الدولة إلى المولتان اغتنم أيلك الخان خلو خراسان فسيَّر سُباشي

تكين صاحب جيشه في هذه السنة الى خراسان في معظم جنده وسيَّر أخاه جعفر تكين إلى بلخ في عدة من الأمراء . وكان يمين الدولة قد جعل بهراة أميراً كان من أكابر أمرائه يقال له : ارسلان الجاذب فأمره إذا ظهر عليه ، مخالف أن ينحاز إلى غزنة ، فلمَّا عبر سباشي تكين إلى خراسان سار أرسلان إلى غزنة وملك سباشي هراة وأقام بها وأرسل إلى نيسابور من استولى عليها . واتصلت الأخبار بيمين الدولة – وهو بالهند – فرجع إلى غزنة لا يلوي على دار ولا يركن إلى قرار . فلمَّا بلغها فرّق في عساكره الأموال وقواهم وأصلح ما أراد

إصلاحه واستمد الأتراك الخلجية(1) فجاءه منهم خلق كثير ، وسار بهم نحو بلخ وبها جعفر تكين أخو أيلك الخان ، فعبر إلى ترمذ ، ونزل يمين الدولة ببلخ وسيَّر العساكر إلى سباشي تكين بهراة ، فلمَّا قاربوه سار نحو مرو ليعبر النهر فلقيه التركمان الغزية ، فقاتلوه فهزمهم وقتل منهم مقتا" عظيمة . ثم سار نحو أبيورد لتعذر العبور عليه فتبعه عسكر يمين الدولة ، كلما رحل نزلوا حتى ساقه الخوف من الطلب إلى جرجان فأخرج عنها . ثم عاد إلى خراسان فعارضه يمين الدولة ، فمنعه عن مقصده وأسر أخو سباشي تكين ، وجماعة من قواده ونجا هو في خف من أصحابه فعبر النهر ، وكان أيلك الخان قد عبر أخاه جعفر تكين إلى بلخ ليلفت يمين الدولة عن طلب سباشي ، فلم يرجع . وجعل دأبه إخراج سباشي من خراسان ، فلمَّا أخرجه عنها عاد إلى بلخ فانهزم من كان بها مع جعفر تكين ، وسلمت خراسان ليمين الدولة .

ذكر الحرب بين عسكر بهاء الدولة والأكراد

في هذه السنة سيَّر عميد الجيوش عسكراً إلى البندنيجيين ، وجعل المقذم عليهم قائداً كبيراً من الديلم . فلمَّا وصلوا إليها سار إليهم جمع كثير من الأكراد فاقتتلوا فانهزمٍ الدَيلم وغَنِمَ الأكراد رحلهم ودوابهم ، وجرَّدَ المقدم عليهم من ثيابه ، فأخذ قميصا من رجل سوادي ، وعاد راجلاً حافيا ولم يكن مقامهم غير أيام قليلة .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قلد الشريف الرضي نقابة الطالبيين بالعراق ولقِّب بم الرضي ذي الحسبين ولقَب أخوه المرتضى ذا

المجدين ، فعل ذلك بهاء الدولة . وفيها توفي أبو أحمد عبد الرحيم بن علي بن المرزبان الأصبهاني قاضي خراسان ، وكان إليه أمر البيمارستان ببغداد .

وفيها مستهل شعبان طلع كوكب كبير يشبه الزهرة عن يسرة قبلة العراق له شعاع

(1) الخلجية منسوبة إلى الخلج بفتح الخاء المعجمة واللام وتغليظ الجيم وهم صنف من الناس وقعوا فى قديم الزمان الى الأرض التى هى بين الهند ونواحى جستان فى ظهر النور وهم اصحاب نعم على خلق الاتراك وزيهم ولسانهم حكاه المنينى .

على الأرض كشعاع القمر وبقي إلى منتصف ذي القعدة وغاب . وفيها توفي أبو سعد إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن إِسماعيل الإسماعيلي (1) الامام الفقيه الشافعي بجرجان في ربيع الآخر ، ومحمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مندة أبو عبد الله الحافظ الأصبهاني المشهور له التصانيف المعروفة .

(ا) وقد ورد بغداد غير مرة وآخر وروده كان فى حياة أبى الحسن الدارقطنى فحدث عن أبيه أبى بكر الاسماعيلى . وأبى العباس الأصم النيسابورى وجماعة . حدث عنه محمد بن أحمد بن شعيب الرويانى ، وأبو محمد الخلال . وعلى بن المحسن التنوخى كان ثقة فاضلا فقيهاً على مذهب الامام الشافعى ،عالماً بفنون العلم ، والحديث والفقه والعربية . وكان سخياً جواداً مفضلاً على أهل العلم والرياسة بجرجان الى اليوم فى ولده وأهل بيته امام زمانه مقدماً فى الفقه .

ثم دخلت سنة سبع وتسعين وثلاثمائة

ذكر هزيمة أيلك الخان

لما أخرج يمين الدولة عساكر أيلك الخان من خراسان ، راسل أيلك الخان قدر خان بن بغراخان ملك الختل (1) لقرابة بينهما ، وذكر له حاله واستعان به ، واستنصره واستنفر الترك من أقاصي بلادها وسار نحو خراسان (2) واجتمع هو وأيلك الخان فعبر النهر ، وبلغ الخبر يمين الدولة وهو بطخارستان (3) فسار وسبقهما إلى بلخ واستعذ للحرب وجمع الترك الغزية ، والخلج ، والهند ، والأفغانية ، والغزنوية . وخرج عن بلخ فعسكر على فرسخين بمكان فسيح (4)يصلح للحرب ، وتقدم أيلك الخان ، وقدرخان في عساكرهما ، فنزلوا بإزائه واقتتلوا يومهم ذلك إلى الليل ، فلمَّا كان الغد برز بعضهم إلى بعض (5) واقتتلوا واعتزل يمين الدولة إلى نشز مرتفع ينظر إلى

(1) قدرخان هو الذى تورد بخارا واجلى الرضى السامانى عنها وبينه وبين ايلك الخان قرابة نسب واواصر رحم وهب لقارىء قرأ بين يديه مائة الف درهم مراغمة لمحمود بن سبكتكين لأنه وهب لمغن مائة ألف درهم . وكانت وفاته سنة اربع واربعمائة .

(2) فى العتبى " وسار فى خمسين الفاً أو يزيدون حتى عبر جيحون ".

(3) ويقال لها " طخيرستان "

(4) فى العتبى . " على أربعة فراسخ من البلد يعرف بقنطرة جرخيان " بجيم غليظة وبعدها راء مهملة ساكنة ثم خاء معجمة ثم باء مثناة تحتانية ثم الف ثم نون .

(5) فى العتبى " واصبح الناس على ميعاد الحرب فعبى السلطان رجاله صفوفاً كالجبال الراسيات والبحار الزخرات ورتب في القلب أخاه صاحب الجيش نصراً ووالى الجوزجان ابا نصر أحمد بن محمد الفريغونى . وأبا عبد الله محمد بن ابراهيم الطائى فى كماة الأكراد والعرب وسائر جماهير الهنود ومساعيد الجنود ورتب فى الميمنة حاجبه الكبير أبا سعيد التونتاش وندب للميسرة ارسلان الجاذب وحصن الصنوف بزهاء خمسمائة فى فيلته . واقبل ايلك فشحن قلبه بخواص غلمانه واعلام فرسانه وولى قدرخان ميمنته فى الاتراك الختن . وشحن بجعفر تكين ميسرته ".

الحرب ، ونزل عن دابته وعفر وجهه على الصعيد تواضعاً لله تعالى ، وسأله النصر والظفر . ثم نزل وحمل في فيلته على قلب أيلك الخان ، فأزاله عن مكانه ووقعت الهزيمة فيهم ، وتبعهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون ويغنمون إلى أن عبروا بهم النهر ، وأكثر الشعراء تهنئة يمين الدولة بهذا الفتح .

ذكر غزوه إلى الهند

فلمَّا فرغ يمين الدولة من الترك ، سار نحو الهند للغزاة ، وسبب ذلك أن بعض أولاد ملوك الهند يعرف بنواسه شاه ، كان قد أسلم على يده واستخلفه على بعض ما افتتحه من بلادهم . فلمَّا كان الآن ، بلغه أنه ارتد عن الإِسلام ومالأ أهل الكفر والطغيان ، فسار إليه مجداً فحين قاربه فر الهندي من بين يديه ، واستعاد يمين الدولة تلك الولاية وأعادها إلى حكم الاسلام ، واستخلف عليها بعض أصحابه ، وعاد إلى غزنة .

ذكر حصر أبي جعفر الحجاج بغداد

في هذه السنة ، جمع أبو جعفر الحجاج جمعاً كثيراً ، وأمدَّه بدر بن حسنويه بجيش كثير ، فسار بالجميع وحصر بغداد ، وسبب ذلك أن أبا جعفر كان نازلاً على قلج حامي طريق خراسان . وكان قلج مبايناً لعميد الجيوش فاجتمعا لذلك ، فتوفي قلج هذه السنة فجعل عميد الجيوش على حماية الطريق أبا الفتح بن عناز ، وكان عدوا لبدر بن حسنويه ، فحقد ذلك بدر ، فاستدعى أبا جعفر الحجاج ، وجمع له جمعاً كثيراً منهم ، الأمير هندي بن سعدي ، وأبو عيسى شاذي بن محمد ، وورام بن محمد ، وغيرهم ، وسيرهم إلى بغداد . وكان الأمير

أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي ، قد عاد من عند بهاء الدولة بخوزستان مغضباً فاجتمع معهم فزادت عدَّتهم على عشرة آلاف فارس ، وكان عميد الجيوش عند بهاء الدولة لقتال أبي العباس . بن واصل ، فسار أبو جعفر ومن اجتمع معه إلى بغداد ، ونزلوا على فرسخ منها ، وأقاموا شهراً . وببغداد جمعٌ من الأتراك ومعهم أبو الفتح بن عناز فحفظوا البلد . فبينما هم كذلك أتاهم خبر انهزام أبي العبّاس وقوة بهاء الدولة ففت ذلك في أعضاد أبي جعفر ومن معه ، فتفرقوا . فعاد ابن مزيد إلى بلده وسار أبو جعفر ، وأبو عيسى إلى حلوان .

وراسل أبو جعفر في إصلاح حاله مع بهاء الدولة ، فأجابه إلى ذلك . فحضر عنده بتستر ، فلم يلتفت إليه لئلا يستوحش عميد الجيوش .

ذكر قصد بدر ولاية رافع بن مقن

كان أبو الفتح بن عناز التجأ إلى رافع بن محمد بن مقن ونزل عليه حين أخذ بدر بن حسنويه منه حلوان ، وقرميسين ، فأرسل بدر إِلى رافع يذكر مودة أبيه وحقوقه عليه ، ويعتب عليه حيث آوى خصمه ، ويطلب إليه أن يبعده ليدوم له على العهد والود القديم . فلم يفعل رافع ذلك ، فأرسل بدر جيشاً إلى أعمال رافع بالجانب الشرقي من دجلة ، فنهبها ، وقصدوا داره بالمطيرة ، فنهبوها وأحرقوها . وساروا إلى قلعة البردان وهي لرافع أيضاً ففتحوها قهراً ، وأحرقوا ما كان بها من الغلات ، وطم بئرها . فسار أبو الفتح الى عميد الجيوش ببغداد فخلع عليه وأكرمه ووعده نصره .

ذكر قتل أبي العباس بن واصل

في هذه السنة قُتِلَ أبو العباس بن واصل صاحب البصرة . وقد تقدم ذكر ابتداء حاله وارتفاعه واستيلائه على البطيحة ، وما أخذه من الأموال ، وما هزم من جيوش السلطان وغير ذلك ،مما هو مذكور في مواضعه . فلمَّا عظم أمره ، سار بهاء الدولة من فارس الى الأهواز ليحفظَ خوزستان منه. وكان في البطائح ، مقابل عميد الجيوش ، فلمَّا فرغ منه ، سار إلى الأهواز وبها بهاء الدولة ، فملكها على ما ذكرناه ، وعاد عنها على صلح مع بهاء الدولة إلى البصرة وقد ذكرناه أيضاً . ثم تجدد ما أوجب عوده إِلى الأهواز ، فعاد إليها في جيشه – وبهاء

الدولة مقيم بها –فلمَّا قاربها رحل بهاء الدولة عنها لقلة عسكره ، وتفرَّقهم بعضهم بفارس ، وبعضهم بالعراق وقطع قنطرة أرْبَقُ (1) وبقي النهر يحجز بين الفريقين . فاستولى أبو العباس على الأهواز ، وأتاه مدد من بدر بن حسنويه ثلاثة آلاف فارس ، فقوي بهم وعزم بهاء الدولة على العود إِلى فارس فمنعه أصحابه ، فأصلح أبو العباس القنطرة وجرى بين العسكرين قتال شديد دام إلى السحر. ثم عبر أبو العباس على القنطرة بعد أن أصلحها . والتقى العسكران ، واشتدَّ

(1) أربَق : بالفتح ثم السكون وياء مفتوحة موحدة وقد تضم وقاف ويقال بالكاف بدل القاف : من نواحي رامهرمز من نواحي خوزستان .

القتال فانهزم أبو العباس وقتل من أصحابه كثيرٌ وعاد إلى البصرة مهزوماً منتصف رمضان سنة ست وتسعين وثلاثمائة .

فلمَّا عاد منهزماً جهَّزَ بهاء الدولة إليه العساكرَ مع وزيره أبي طالب . فسار إليه ،ونزل عليه محاصراً له وجرى بين العسكرين القتال . وضاق الأمر على الوزير وقل المال عنده ، واستمد بهاء الدولة فلم يمدَّه ، ثم إن أبا العباس جمع سفنه وعساكره وأصعِدَ إلى عسكر الوزير ، وهجم عليه فانهزم الوزير وكاد يتم على الهزيمة ، فاستوقفه بعض الديلم وثبته ، وحملوا على أبي العباس ، فانهزم هو وأصحابه ، وأخذ الوزير سفنه فاستأمن إليه كثير من اصحابه . ومضى أبو العباس منهزماً ، وركب مع حسان بن ثمال الخفاجي هارباً إلى الكوفة . ودخل الوزير البصرة وكتب إلى بهاء الدولة بالفتح .

ثم إن أبا العباس سار من الكوفة ، وقطع دجلة ومضى عازماً على اللحاق ببدر بن حسنويه ، فبلغ خانقين وبها جعفر بن العوام في طاعة بدر ، فأنزله وأكرمه ، وأشار عليه بالمسير في وقته ، وحذره الطلب . فاعتل بالتعب وطلب الاستراحة ونام . وبلغ خبره إلى أبي الفتح بن عناز– وهو في طاعة بهاء الدولة – وكان قريباً منهم ، فسار إليهم بخانقين – وهو بها – فحصره ، وأخذه وسار به إلى بغداد فسيره عميد الجيوش إلى بهاء الدولة . فلقيهم في الطريق قاصد من بهاء الدولة يأمره بقتله . فقُتِلَ وحُمِلَ رأسه إلى بهاء الدولة وطِيْفَ به بخوزستان ، وفارس ، وكان بواسط عاشر صفر .

كان في نفس بهاء الدولة على بدر بن حسنويه حقد لما اعتمده في بلاده لاشتغاله عنه بأبي العباس بن واصل . فلمَّا قُتِلَ أبو العباس أمر بهاء الدولة عميد الجيوش بالمسير إلى بلاده ، وأعطاه مالاً أنفقه في الجند . فجمع عسكراً وسار يريد بلاده ، فنزل جند يسابور ، فأرسل إليه بدر ، إنك لم تقدر على أن تأخذ ما تغلب عليه بنو عقيل من أعمالكم ، وبينهم وبين بغداد فرسخ حتى صالحتهم فكيف تقدر على أخذ بلادي ، وحصوني مني ، ومعي من الأموال ما ليس معك مثلها ، وأنا معك بين أمرين إن حاربتك ، فالحرب سجال ، ولا نعلم لمن العاقبة ، فإن انهزمت أنا لم ينفعك ذلك لأنني أحتمي بقلاعي ومعاقلي ، وأنفق أموالي ، وإذا عجزت فأنا رجل صحراوي صاحب عمد أبعد ثم أقرب ، وإن انهزمت أنت لم تجتمع وتلقى من صاحبك

العسف ، والرأي أن أحمل إليك مالا ترضي به صاحبك ، ونصطلح ، فأجابه إلى ذلك ، وصالحه وأخذ منه ما كان أخرجه على تجهيز الجيش وعاد منه .

ذكر الحرب بين قرواش وأبي علي بن ثمال الخفاجي

في المحرم ، جرت وقعة بين معتمد الدولة أبي المنيع قرواش بن المقلد العقيلي ، وبين أبي علي بن ثمال الخفاجي ، وكان سببها أن قرواش جمع جمعاً كثيراً وسار إلى الكوفة ، وأبو علي غائب عنها ، فدخلها ونزل بها . وعرف أبو علي الخبر ، فسار إليه فالتقوا واقتتلوا ، فانهزم قرواش ، وعاد إلى الأنبار مفلولاً ، وملك أبو علي الكوفة ، وأخذ أصحاب قرواش ، فصادرهم .

ذكر خروج أبي ركوة على الحاكم بمصر

في هذه السنة ظفر الحاكم بابي ركوة ، ونحن نذكر ههنا خبره أجمع ، كان أبو ركوة اسمه الوليد ، وإنما كُنِّي أبا ركوة ، لركوة كان يحملها في أسفاره سنة الصوفية ، وهو من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان ، ويقرب في النسب من المؤيد هشام بن الحاكم الأموي صاحب الأندلس . وإن المنصور بن أبي عامر لما استولى على المؤيد ، وأخفاه عن الناس ، تتبع أهله ومن يصلح منهم للملك فطلبه فقتل البعض وهرب البعض ، وكان أبو ركوة ممن هرب – وعمره حينئذ قد زاد على العشرين سنة – وقصد مصر ، وكتب الحديث .

ثم سار إلى مكة واليمن ، وعاد إلى مصر ، ودعا بها الى القائم ، فأجابه بنو قرة وغيرهم ، وسبب استجابتهم أن الحاكم

بأمر الله كان قد أسرف في مصر في قتل القواد ، وحبسهم وأخذ أقوالهم وسائر القبائل معه في ضنك وضيق ، ويودون خروج الملك عن يده ، وكان الحاكم في الوقت الذي دعا أبو ركوة بني قرة قد آذاهم وحبس منهم جماعة من أعيانهم ، وقتل بعضهم . فلمَّا دعاهم أبو ركوة ، انقادوا له . وكان بين بضي قرة وبين زناتة حروب ودماء . فاتفقوا على الصلح ومنع أنفسهم من الحاكم ، فقصد بني قرة وفتح مكتباً يعلم الصبيان الخطَّ ، وتظاهر بالدين والنسك ،وأمّهم في صلواتهم ، فشرع في دعوتهم إلى ما يريده فأجابوه وبايعوه ، واتفقوا عليه ، وعرفهم حينئذ نفسه وذكر لهم ، أن عندهم في الكتب ، أنه يملك مصر وغيرها ووعدهم ومناهم يوماً وما يعدهم الشيطان إلا غروراً . فاجتمعت بنو قرة ، وزناتة على بيعته وخاطبوه

بالإمامة – وكانوا بنواحي يرقة – ، فلمَّا سمع الوالي ببرقة خبره ، كتب الى الحاكم ينهيه إليه ، ويستأذنه في قصدهم ، وإصلاحهم فأمره بالكفَ عنهم واطراحهم . ثم إن ابا ركوة جمعهم ، وسار إلى برقة ، واستقر بينهم أن يكون الثلث من الغنائم له والثلثان لبني قرة ، وزناتة ، فلمَّا قاربها ، خرج إليه واليها فالتقوا ، فانهزم عسكر الحاكم ، وملك أبو ركوة يرقة ، وقوي هو ومن معه بما اخذوا من الأموال والسلاح وغيره (1) ونادى بالكفَ عن الرَّعية والنهب ، وأظهر العدل وأمر بالمعروف . فلمَّا وصل المنهزمون إلى الحاكم عظم عليه الأمر ، واهمته نفسه ، وملكه وعاود الِإحسان إلى الناس ، والكفِّ عن أذاهم . وندب عسكراً نحو خمسة آلاف فارس ، وسيَّرهم وقَدِمَ عليهم قائداً يُعرفُ بينال الطويل وسيَّره ، فبلغ ذات الحمام ، وبينها وبين برقة مفازة فيها منزلان لا يلقى السالك الماء إلّا في آبار عميقة بصعوبة وشدة ، فسيَّر أبو ركوة قائداً في الف فارس وأمرهم بالمسير إلى ينال ومن معه ، ومطاردتهم قبل الوصول الى المنزلين المذكورين ، وأمرهم إذا عادوا أن يغوروا الآبار، ففعلوا ذلك وعادوا . فحينئذ سار أبو ركوة في عساكره ، ولقيهم ، وقد خرجوا من المفازة على ضعف وعطش فقاتلهم فاشتد القتال فحَمَلَ ينال على عسكر أبي ركوة ، فقتل منهم خلقاً كثيراً – وأبو ركوة واقفٌ لم يحمل هو ولا عسكره – فاستأمن إليه جماعة كثيرة من كُتامة لما نالهم من الأذى والقتل من الحاكم ، وأخذوا الأمان لمن بقي من اصحابهم ، ولحقي م الباقون فحملِ حينئذ بهم على عساكر الحاكم ،

فانهزمت وأسِرَ ينال وقتل وأسِرَ أكثر عسكره ، وقتِل منهم خلق كثير.

وعاد إلى برقة وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ، وانتشر ذكره وعظمت هيبته ،وأقام ببرقة وترددت سراياه إلى الصعيد وأرض مصر . وقام الحاكم من ذلك وقعد وسقط في يده وندم على ما فرط ، وفرح جند مصر وأعيانها ، وعلم الحاكم ذلك فاشتدَّ قلقه وأظهر الاعتذار عن الذي فعله .

وكتب الناس إلى أبي ركوة يستدعونه ، وممن كتب إليه الحسين بن جوهر

(1) في البداية والنهاية 11 / 360 " ودخل برقة في جحفل عظيم فجمع له اهلها نحواً من مائتي ألف دينار وأخذ رجلاً من اليهود انهم بشيء من الودائع فأخذ منه مائتي الف دينار ايضاً ونقشوا الدراهم والدنانير بألقابه وخطب بالناس يوم الجمعة ولعن الحاكم في خطبته ونعماً فعل فالتف على أبي ركوة من الجود نحو من ستة عشر ألفاً "

المعروف بقائد القواد. فسار حينئذ عن برقة الى الصعيد ، وعلم الحاكم فاشتدَ خوفه ، وبلغ الأمر به كل مبلغ ، وجمع عساكره واستشارهم وكتب إلى الشام يستدعي العساكر ت فجاءته . وفرق الأموال ، والدواب ، والسلاح وسيرهم –وهم إثنا عشر الف رجل بين فارس وراجل سوى العرب – واستعمل عليهم الفضل بن عبدالله (ا) فلمَّا قاربوا أبا ركوة لقيهم في عساكره ورام مناجزة المصريين ، والفضل يحاجزه ويدافع ويراسل أصحاب أبي ركوة يستميلهم ويبذل لهم الرغائب فأجابه قائد كبير من بني قرَّة يُعرَف بالماضي ، وكان يطالعه بأخبار القوم ، وما هم عازمون فيدبَّر الفضل أمره على حسب ما يعلمه منه . وضاقت الميرة على العساكر ، فاضطرَّ الفضل الى اللقاء ، فالتقوا واقتتلوا بكوم شريك ، فقتل بين الفريقين قتلى كثيرة ، ورأى الفضل من جمع أبي ركوة ما هاله وخاف المناجزة فعاد الى عسكره .

وراسل بنو قرة العرب الذين في عسكر الحاكم يستدعونهم إليهم ، ويذكِّرونهم أعمال الحاكم بهم ، فأجابوهم ، واستقر الأمر أن يكون الشام للعرب ، ويصير لأبي ركوة ومن معه مصر ، وتواعدوا ليلة يسير فيها أبو ركوة إلى الفضل ، فإذا وصل إليه ، انهزمت العرب ولا يبقى دون مصر مانع .

فكتب الماضي الى الفضل بذلك ، فلمَّا كان ليلة الميعاد جمع الفضل رؤساء العرب ليفطروا عنده ، وأظهر أنه صائم وطاولهم الحديث ، وتركهم في خيمة واعتزلهم ووصَّى أصحابه بالحذر . ورام العرب العود إلى خيامهم فعللهم وطاولهم ، ثم أحضر الطعام ، وأحضرهم فأكلوا وتحدثوا .

وسيَّر الفضل سرية إلى طريق أبي ركوة فلقوا العسكر الوارد من عنده فاقتتلوا ووصل الخبر إلى العسكر وارتج . وأراد العرب الركوب ، فمنعهم وأرسل إلى

(1) الذى فى البداية والنهاية : 11 / 360 " ان الفضل بن عبد الله كان فى جيش أبى ركوة فأرسل إليه الحكم بمال ليغريه ويستميله إلى جيشه والغدر بابى ركوة وهاك نص عبارته " فلمَّا بلغ الحاكم أمره وما آل إليه حاله بعث بخمسمائة الف دينار وخمسة آلاف ثوب إلى مقدم جيوش أبى ركوة –وهو الفضل بن عبد الله– يستميله اليه وبثنيه عن أبى ركوة فحين وصلت الأموال إليه رجع عن أبى ركوة وقال له : إنا لا طاقة لنا بالحاكم وما دمت بين اظهرنا فنحن مطلوبون بسببك فاختر لنفسك بلداً تكون فيها فسال أن يبعثوا معه فارسين يوصلانه الى النوبة " الخ ، وما فى النجوم الزاهرة يوافق ما هنا من أن الفضل بن عبد الله كان فى جيش الحاكم لا فى جيش ابى ركوة.

أصحابهم من العرب ، فأمرهم بالركوب والقتال ولم يكن عندهم علم بما فعل رؤساؤهم . فركبوا واشتد القتال ورأى بنو قرة الأمر على خلاف ما قرروه ، ثم ركب الفضل ، ومعه رؤساء العرب وقد فاتهم ما عزموا عليه ، فباشروا الحرب وغاصوا فيها ، وورد أبو ركوة مدداً لأصحابه . فلمَّا رآه الفضل ردَ أصحابه وعاد إلى المدافعة ، وجهزَ الحاكم عسكراً آخر أربعة آلاف فارس ، وعبروا إلى الجيزة . فسمع أبو ركوة بهم فسار مجدَّاً في عسكره ليوافقهم (ا) عند مصر وضبط الطرق لئلا يسمع الفضل ، ولم يمكن الماضي أن يكتبه فساروا ، وأرسل إليه من الطريق يعرفه الخبر ، وقطع أبو ركوة مسيرة خمس ليالٍ في ليلتين ، وكبسوا عسكر الحاكم بالجيزة وتتلوا نحو ألف فارس ، وخاف أهل مصر ، ولم يبرز الحاكم من قصره . وأمر الحاكم من عنده من العساكر بالعبور الى الجيزة . ورجع أبو ركوة فنزل عند الهرمين ثم انصرف من يومه . وكتب الحاكم الى الفضل كتاباً ظاهراً يقول فيه : إن ابا ركوة انهزم من عساكرنا ليقرأه على القواد، وكتب إليه سرَّاً بعلمه الحال ، فأظهر الفضل البشارة بانهزام أبي ركوة تسكيناً للناس . ثم سار أبو ركوة الى موضع يعرف بالسبخة كثير الأشجار . وتبعه الفضل ، وكمن أبو ركوة بين الأشجار ، وطارد عسكر الفضل ورجعَ عسكره القهقرى ليستجروا عسكر الفضل ، وبخرج الكمين عليهم . فلمَّا رأى الكمناء رجوع عسكر أبي ركوة ظنوها الهزيمة لاشك فيها فولوا يتبعونهم . وركبهم أصحاب الفضل ، وعلوهم بالسيوف فقتل منهم ألوف كثيرة ، وانهزم أبو ركوة ومعه بنو قرة ، وساروا إلى حللهم . فلمَّا بلغوها

ثبطهم الماضي عنه فقالوا له : قد قاتلنا معك ولم يبقَ فينا قتال فخذ لنفسك وانج .

(1) قال في النجوم الزاهرة " فأمر الحاكم ان يشهر أبو ركوة على جمل ويطاف به وكانت القاهرة قد زينت احسن زينة وكان بها شيخ ينال له : الابزارى اذا خرج خارجى صنع له طرطوراً وعمل فيه الوان الخرق المصبوغة وأخذ قرداً ويجعل في يده درة ويعلمه أن يضرب بها الخارجى من ورائه ويعطى مائة دينار وعشر قطع قماش فلمَّا قطع أبو ركوة الجيزة امر به الحكم فاركب جملاً بسنامين والبس الطرطور واركب الابزارى خلفه والقردبيده الدرة وهو يضربه والعساكر حوله وبين يديه خمسة عشر في مزينة ودخل القاهرة على هذا الرصف ورؤوس أصحابه بين يديه على الخشب والقصب وجلس الحاكم في منظرة على باب الذهب والترك والديلم عليهم السلاح وبأيديهن اللتوث وتحتهم الخيول بالتجافيف – جمع تجفاف – بكسر الفاء – آلة للحرب من حديد وغيره تلبسها الفرس للوقاية بها كأنها درع –حول أبى ركوة وكان يوماً عظيماً، وأمر به الحكم أن يخرج الى ظاهر القاهرة ويضرب عنقه على تل بازاء مسجدِ ربدان خارج القاهرة فلمَّا حمل الى هناك انزل فإذا به ميت فقطع رأسه وحمل به الى الحكم فأمر بصلب جسده ا هـ.

فسار إلى بلد النوبة . فلمَّا بلغ إلى حصن يُعرفُ بحصن الجبل للنوبة ، أظهر أنه رسول من الحاكم إلى ملكهم فقال له صاحب الحصن : الملك عليل ولا بد من استخراج أمره في مسيرك إليه " . وبلغ الفضل الخبر فأرسل إلى صاحب القلعة بالخبر على حقيقته ، فوكل به من يحفظه ، وأرسل إلى الملك بالحال ، وكان ملك النوبة قد توفي وملك ولده فأمر بأن يسلم إلى نائب الحاكم . فتسلمه رسول الفضل وسار به فلقيه الفضل وأكرمه ، وأنزله في مضاربه ، وحمله إلى مصر فاشهِرَ بها وطِيف به ، وكتب أبو ركوة إلى الحاكم رقعة يقول فيها : " يا مولانا الذنوب عظيمة وأعظم منها عفوك ، والدماء حرام ما لم يحللها سخطك وقد أحسنت وأسأت ، وما ظلمت إلا نفسي وسوء عملي أو بقني " . وأقول :

ـ فرزْتُ فلم يغنِ الفرارُ ومن يكنْ مع الله لم يعجزْهُ في الأرضِ هاربُ

ـ ووالله ما كان الفرارُ لحاجةٍ سوى فزع الموتِ الذي أنا شاربُ

ـ وقد قادني جرمي إليك برمَتي كما خر ميتاً في رَحا الموت ساربُ

ـ وأجمعَ كل الناس أنك قاتلي فيارب ظنَّ ربهُ فيك كاذبُ

ـ وما هو إلاّ الانتقام وينتهي وأخذُكَ منه واجباً لكَ واجبُ

ولما طِيْفَ به أُلبسَ طرطوراً ، وجُعل خلفه قرد يصفعه ، كان معلماً بذلك ، ثم حُمِلَ إلى ظاهر القاهرة ليقتَلَ وُيصلَبَ

فتوفي قبل وصوله ، فقُطِعَ رأسه وصُلِبَ . وبالغ الحاكم في إكرام الفضل إلى حدِّ أنه عاده في مرضة مرضها دفعتين ، فاستعظم الناس ذلك ، ثم أنه عمل في قتل الفضل لما عوفي فقتله .

ذكر القبض على مجد الدولة وعوده الى ملكه

في هذه السنة قبضت والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب الري، وبلد الجبل عليه . وكان سبب ذلك ان الحكم كان إليها في جميع أعمال ابنها . فلمَّا وَزِرَ له الخطير أبو علي بن علي بن القاسم ، استمال الأمراء ووضعهم عليها ، والشكوى عليها . وخوفَ ابنها منها فصار كالمحجور عليه . فخرجت من الري إلى القلعة فوضع عليها من يحفظها . فعملت الحيلة حتى هربت إلى بدر بن حسنويه ، واستعانت به في ردها إلى الري . وجاءها ولدها شمس الدولة ، وعساكر همذان ، وسار معها بدر إلى الري ، فحصروها . وجرى بين الفريقين قتال كثير مدة . ثم استظهر

بدر ، ودخل البلد ، وأسر مجد الدولة فقيدته والدته ، وسجنته بالقلعة ، وأجلسَت أخاه شمس الدولة في الملك ، وصار الأمر إليها . وعاد بدر إلى بلده وبقي شمس الدولة في الملك نحو سنة . فرأت والدته منه تنكراً وتغيراً وأن أخاه مجد الدولة ألين عريكة . وأسلم جانباً فأعادته إلى الملك . وسار شمس الدولة إلى همذان . وكره بدر هذه الحالة ، إلا أنه اشتغل بولده هلال عن الحركة فيها . وصارت هي تدير الأمر ، وتسمع رسائل الملوك وتعطي الأجوبة . وأرسل شمس الدولة إلى بدر يستمده . فسيَّر إليه جنداً فأخذهم ، وسار بهم إلى قم ، فحصروها فمنعها أهلها . ثم ان العساكر دخلوا طرقاً منها واشتغلوا بالنهب ، فأكبَ عليهم العامة ، وقتلوا منهم نحو سبعمائة رجل ، وانهزم الباقون إلى معسكرهم ، ثم قبض هلال بن بدر على أبيه ، فتفرق ذلك الجمع كله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة اشتدَّ الغلاء بالعراق ، فضج العامة وشغب الجند وكانت فتنة .

وفيها توفي عبد الصمد الزاهد ، ودُفِنَ عند قبر أحمد ، وكان غاية في الزهد والورع (ا). وفيها هب على الحجاج ريح سوداء بالثعلبية أظلمت لها الأرض ، ولم يرَ الناس بعضهم بعضاً وأصابهم عطش شديد ، ومنعهم ابن الجراح الطائي من المسير ليأخذ منهم مالاً ، فضاق الوقت عليهم فعادوا ولم يحجوا(2) . وفيها مات علي بن أحمد أبو الحسن الفقيه المالكي المعروف بابن القصاب (3) .

(1) هو أبو القاسم الدينورى الواعظ الزاهد قرأ القرآن ودرس الفقه على مذهب الشافعى على أبى سعيد الاصطخرى وسمع الحديث من أبى بكر النجاد . وروى عنه الازجى والصيمرى . وكان ثقة صالحاً يضرب به المثل فى مجاهدة النفس واستعمال الصدق المحض والتعفف والتفقه والتقشف والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وحسن وعظه ووقعه فى القلوب . وله حكايات تدل على ورعه وعنته وكرمه وكثرة احسانه ، كان يدق السعد للعطار بن بالاجرة ويقتات من ذلك توفى رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء لسبع بقين من ذى الحجة ببغداد وصلى عليه بالجامع المنصورى .

(2) فى البداية والنهاية 11 / 360 "فرجعوا إلى بلادهم فدخلوها فى يوم التروية) .

(3) هو فى الأصول بالباء صوابه " ابن القصار " بالراء المهملة كذا فى الديباج المذهب وشذرات الذهب وتاريخ بغداد وغيرها تفقه بأبى بكر الأبهرى وغيره وبه تفقه أبو ذر الهروى . والقاضى عبد الوهاب . ومحمد بن عمروس . وجماعة ولى قضاء بغداد وكان اصولياً نظاراً، وله كاب فى مسائل الخلاف لا يعرف للمالكيين كآب فى الخلاف اكبر منه . قال ابو ذر الهروى : هو افقه من لقيت من المالكية .

ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة

ذكر غزوة بَهِيْم (ا)تَغَر

لما فرغ يمين الدولة من النزوة المتقدمة ، وعاد الى غزنة واستراح هو وعسكره،استعد لغزوة أخرى فسار في ربيع الآخر من هذه السنة ، فانتهى إلى شاطىء نهر هندمند(2) فلاقاه هناك أيرَقمَنْ (3) بالُ بن أندبال في جيوش الهند ، فاقتتلوا مليا في النهار ، وكادت الهند تظفر بالمسلمين . ثم إن الله تعالى نصر عليهم ، فظفر بهم المسلمون فانهزموا على أعقابهم ، وأخذهم المسلمون بالسيف . وتبع يمين الدولة أثر أبرهمن بال حتى بلغ قلعة بهيم نغر–وهي على جبل عالٍ – وكان الهند قد جعلوها خزانة لصنمهم الأعظم ، فينقلون إليها أنواع الذخائر قرناً بعد قرن ، وأعلاق الجواهر(4)وهم يعتقدون ذلك ديناً فاجتمع فيها على طول الأزمان ما لم يسمع بمثله ، فنازلهم يمين الدولة وحصرهم وقاتلهم . فلمَّا رأى الهنود كثرة جمعهم وحرصهم على القتال ، وزحفهم اليهم مرة بعد أخرى خافوا وجبنوا ، وطلبوا الأمان ، وفتحوا باب الحصن ، وملك المسلمون القلعة . وصعد يمين الدولة إليها في خواص أصحابه وثقاته ، فأخذ منها من الجواهر ما لا يُحدُّ ومن الدراهم تسعين ألف ألف درهم شاهية( )

(1) بهيم : بفتح ثم كسر، ونغر بفتح النون والغين ، كلاهما في بلاد الهند.

(2) في العتبي " إلى شط وِبهَند " بعد الواو المكسورة ياء مثناة تحتانية ثم هاء مفتوحة ثم نون ثم دال مهملة : مدينة عظيمة على شط سندرود وهي ما بين يرشو ولوهور . –

(3)أبرهمن : بعد الهمزة المفتوحة باء موحدة مفتوحة ثم راء مهملة ثم هاء مفتوحة ثم ميم ثم نون وربما يقال بترك الهمزة من أوله وهو العالم في لغة الهند وجمعه البراهمة ويقال لخادم الوثن : برهمن أيضاً، وبال عطف بيان على برهمن.

(4) الاعلاق جمع علق بكسر فسكون وهو النفيس من كل شيء.

(5)في العتبى " سبعين ألف ألف درهم شاهية " .

ومن الأواني الذهبياتَ والفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة منا . وكان فيها بيت مملوء من فضة طوله ثلاثون ذراعاً وعرضه خمسة عشر ذراعاً إلى غير ذلك من الأمتعة ، وعاد إلى غزنة بهذه الغنائم ، ففرش تلك الجواهر في صحن داره ، وكان قد اجتمع عنده رسل الملوك (ا) ، فأدخلهم إليه فرأوا ما لم يسمعوا بمثله .

ذكر حال أبي جعفر بن كاكويه

هو أبو جعفر بن دشمنزيار ، وإنما قيل كاكويه لأنه كان ابن خال والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه ، وكاكويه هو الخال بالفارسية ، وكانت والدة مجد الدولة قد استعملته على أصبهان . فلمَّا فارقت ولدها فسد حاله فقصد الملك بهاء الدولة وأقام عنده مدة . ثم عادت والدة مجد الدولة إلى ابنها بالري ، فهرب ابو جعفر وسار إليها فأعادته إلى اصبهان ، واستقر فيها قدمه وأعظم شأنه . وسيأتي من أخباره ما يعلم به صحة ذلك إن شاء الله تعالى .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة في ربيع الأول ، وقع ثلج كثير ببغداد ، وواسط ، والكوفة، والبطائح الى عبادان ، وكان ببغداد نحو ذراع ،وبقي في الطريق نحو عشرين يوماً .

وفيها وقعت الفتنة ببغداد في رجب . وكان أولها أن بعض الهاشميين من باب البصرة أتى ابن المعلم فقيه الشيعة في مسجده بالكرخ فآذاه ، ونال منه ، فثار به اصحاب ابن المعلم واستنفر بعضهم بعضاً وقصدوا أبا حامد الأسفراييني(2) ، وابن

الأكفانى، فسبوهما وطلبوا الفقهاء ليوقعوا بهم فهربوا . وانتقل أبو حامد الأسفراييني الى دار القطن ، وعظمت الفتنة ، ثم إن السلطان أخذ جماعة وسجنهم فسكنوا . وعاد أبو حامد إلى مسجده وأخرج ابن المعلم من بغداد ، فشفع فيه علي بن مزيد فأعيد. وفيها وقع الغلاء بمصر، واشتد وعظم الأمر، وعدمت الأقوات ، ثم تعقبه

(1) في العتبى " واجتمعت وفود الاطراف على ادراك ما لم يروا في كتب الاولين اجتماع مثله لاحد من صناديد القروم وملوك العجم والروم . وحضر ذلك المشهد رسل طغان خان ملك الترك أخي أيلك فرأوا ما لم تره العيون ولم يملكه قارون صنع الله الذى امره اذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون .

(2) وتفصيل بقية الحادثة كما هو فى البداية والنهاية قال : وجرت فتنة عظيمة طويلة، واحضرت الشيعة مصحفاً ذكروا انه مصحف عبد الله بن مسعود، وهو مخالف للمصاحف كلها، فجمع الاشراف والقضاة والفقهاء =

وباء كثير أفنى كثيراً من أهلها . وفيها زلزلت الدينور زلزلة شديدة خربَت المساكن ، وهلك خلق كثير من أهلها الذين دفنوا ستة عشر الفاً سوى من بقي تحت الهدم ، ولم يشاهد(1) . وفيها أمر الحاكم بأمر الله صاحب مصر بهدم بيعة قمامة ، وهي بالبيت المقدس وتسميها العامة القيامة . وفيها الموضع الذي دُفِنَ فيه المسيح عليه السلام ، فيما يزعمه النصارى ، وإليها يحجون من أقطار الأرض ، وأمر بهدم البيع في جميع مملكته ، فهُدِمَتْ وأمر اليهود ، والنصارى إما ان يسلموا أو يسيروا إلى بلاد الروم ، ويلبسوا الغيار . فاسلم كثير منهم . ثم أمر بعمارة البيع ومن اختار العود الى دينه ، عاد فارتد كثير من النصارى (2) .

وفيها توفي أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي وزير مجد الدولة ببروجرد .

= في يوم جمعة لليلة بقيت من رجب ، وعرض المصحف عليهم فأشار الشيخ أبو حامد الاسفراييني والفقهاء بتحريقه ، ففعل ذلك بمحضر منهم ، فغضب الشيعة من ذلك غضباً شديداً، وجعلوا يدعون ليلة النصف من شعبان على من فعل ذلك ويسبونه ، وقصد جماعة من أحداثهم دار الشيخ أبي حامد ليؤذوه فانتقل منها الى دار القطن ، وصاحوا يا حاكم يا منصور، وبلغ ذلك الخليفة فغضب وبعث أعوانه لنصرة أهل السنة، فحرقت دور كثيرة من دور الشيعة، وجرت خطوب شديدة، وبعث عميد الجيوش إلى بغداد لينفي عنها ابن المعلم فقيه الشيعة، فأخرج منها ثم شفع فيه ومنعت القصاص من التعرض

للذكر والسؤال باسم الشيخين وعلى رضى الله عنهم ، وعاد الشيخ أبو حامد الى داره على عادته 11 / 362 .

(1) فى النجوم الزاهرة " وخرج من سلم الى الصحراء وبنوا لهم أكواخاً من القصب وذهب من الأموال ما لا يعد ولا يحصى .

(2)وتفصيل الكلام كما ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية 11 / 362 وفيها أمر الحاكم بتخريب قمامة وهى كنيسة النصارى ببيت المقدس ، وأباح للعامة ما فيها من الأموال والأمتعة وغير ذلك ، وكان سبب ذلك البهتان الذى يتعاطاه النصارى فى يوم الفصح من النار التى يحتالون بها، وهى التى يوهمون جهلتهم أنها نزلت من السماء، وانما هى مصنوعة بدهن البلسان فى خيوط الابريسم ؛ والرقاع المدهونة بالكبريت وغيره بالصنعة اللطيفة التى تروح على الطغام منهم والعوام ، وهم الى الآن يستعملونها فى ذلك المكان بعينه . وكذلك هدم فى هذه السنة عدة كنائس ببلاد مصر، ونودى فى النصارى : من أحب الدخول فى دين الاسلام دخل ومن لا يدخل فليرجع إلى بلاد الروم آمناً؛ ومن أقام منهم على دينه فليتزم بما شرط عليهم من الشروط التى زادها الحكم على العمرية، من تعليق الصلبان على صدورهم ، وأن يكون الصليب من خشب زنته أربعة أرطال ، وعلى اليهود تعليق رأس العجل زنته ستة أرطال وفى الحمام يكون فى عنق الواحد منهم تربة زنة خمسة ارطال بأجراس ، وان لا يركبوا خيلًا . ثم بعد هذا كله أمر بإعادة بناء الكنائس التى هدمها وأذن لمن أسلم منهم فى الارتداد الى دينه . وقال ننزه مساجدنا ان يدخلها من لانية له ،

ولا يعرف باطنه ، قبحه الله اهـ . وذكر القلانسى بأوسع من هذا

وكان سبب مجيئه إليها أن أم مجد الدولة بن بويه اتهمته أنه سئم أخاه فمات . فلمَّا توفي أخوه طلبت منه مائتي دينار ، لتنفقها في مأتمه فلم يعطها ، فأخرجته فقصد بروجرد– وير من أعمال بدر بن حسنويه – فبذل بعد ذلك مائتي الف دينار ليعود الى عمله ، فلم يقبل منه . فأقام بها إلى أن توفي وأوصى أن يدفن بمشهد الحسين عليه السلام ، فقيل للشريف أبي أحمد والد الشريف الرضي أن يبيعه بخمسمائة دينار موضع قبره فقال : من يريد جوار جدي لا يباع . وأمر أن يعمل له قبرٌ وسيَّر معه من أصحابه خمسين رجلًا فدفنه بالمشهد . وتوفي بعده بيسير ابنه أبو القاسم سعد ، أبو عبدالله الجرجاني الحنفي بعد أن فُلِجَ (ا) ، وأبو الفرج عبد الواحد بن نصر المعروف بالببغا الشاعر وديوانه مشهور(3) ، والقاضي أبو عبدالله الضبي بالبصرة(2) ، والبديع أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني صاحب المقامات المشهورة وله شعر حسن وقرأ الأدب على أبي الحسين بن فارس مصنف المجمل (4) ، وتوفي أبو بكر أحمد بن علي بن لال الفقيه

(ا) هو محمد بن يحيى بن مهدى أبو عبد الله الجرجانى الفقيه أحد الاعلام . وكان من العلماء الزهاد العباد المناظرين لأبى بكر الرازى تفقه على أبى بكر الرازى . وتفقه عليه أبو الحسين القدورى . وأحمد بن محمد الناطفى . قال ابن النجار : حدث عن عبد الله بن اسحاق بن يعقوب البصرى . وأبى أحمد الغطرفى .

روى عنه أبو سعد اسماعيل بن على السمان الرازى فى معجم شيوخه . وأبو نصر الشيرازى فى فوائده وذكرانهما كتبا

عنه ببغداد. وذكره الخطيب في التاريخ ولم يذكر له رواية. وكان يدرس بالمسجد الذي بقطيعة الربيع مات في يوم أربعاء لعشر بقين من رجب ودفن الى جانب قبر أبي حنيفة.

(2) هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي اصله من أهل نصيبين وكان في عنفوان امره وريعان شبابه متصلاً بسيف الدولة مقيماً في جملته ثم تنقلت به بعد وفاة صاحبه الأحوال في ورود الموصل وبغداد ومنادمته بهما الملوك والرؤساء واخفاقه مرة وإنجاحه أخرى، قال الأمير أبو الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي -يورده من ذكر التقائه معه عند صدره من الحج ودخوله بغداد في سنة تسعين وثلاثمائة: رأيته بها شيخاً عالي السن متطاول الأمد نظيف اللبسة بهي الركبة مليح اللثغة ظريف الجملة قد أخذت الأيام من جسمه وقوته ولم تأخذ من ظرفه وأدبه.

(الببغاء): بفتح الباء الأولى الموحدة وتشديد الباء الثانية وفتح الغين المعجمة وبعدها ألف وهو لقب - وانما لقب به لحسن فصاحته: وقيل: للثغة كانت في لسانه، قال القاضي ابن خلكان: ووجد بخط أبي الفتح بن جني النحوي " الففغاء- " بفاءين.

(3) هو أبو عبد الله الحسين بن هرون البغدادي ولي قضاء مدينة المنصور. وقضاء الكوفة. وأملى الكثير عن المحاملي. وابن عقدة وطبقتهما. قال الدارقطني: وهو غاية في الفضل والدين عالم بالأقضية عالم بصناعة المحاضر والترسل موفق في أحواله كلها رحمه الله.

(4) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى الأديب المعروف ببديع الزمان صاحب=

الشافعي الهمذاني بنواحي عكا بالشام ، كان انتقل إلى هناك (1)

= الرسائل الفائقة والمقامات الرائقة - وطبعا غير مرة - وقد طار صيته في الاقطار وسار حبر فضله في جميع الأمصار.

(1)هو أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن الفرج بن لال أبو بكر الهمذاني. ولد سنة سبع أو ثمان وثلاثمائة وروى عن أبيه ، والقاسم بن أبي صالح ، واسماعيل الصفار، وعبد الباقي بن قانع ،وأبي سعيد بن الاعرابي وخلق. روى عنه جعفر بن محمد الابهري ، وحميد بن المأمون ، وأبو مسعود أحمد بن محمد البجلي الرازي وخلق من أهل همذان.

ثم دخلت سنة تسع وتسعين وثلاثمائة

ذكر ابتداء حال صالح بن مرداس

لما قتل عيسى بن خلاط أبا علي بن ثمال بالرحبة ، وملكها أقام فيها مدة ثم قصده بدران بن المقلد العقيلي ، فأخذ الرحبة منه وبقيت لبدران . فأمر الحاكم بأمر الله نائبه بدمشق لؤلؤاً البشاري بالمسير إليها ، فقصد الرقة أولًا وملكها ، ثم سار إلى الرحبة وملكها ثم عاد إلى دمشق ، وكان بالرحبة رجل من أهلها يُعرفُ بابن محكان فملك البلد . واحتاج إلى من يجعله ظهره ويستعين به على من يطمعٍ فيه ، فكاتب صالح بن مرداس الكلابي ، فقدم عليه ، وأقام عنده مدة . ثم إن صالحا تنير عن ذلك فسار إلى ابن محكان ، وقاتله على البلد ، وقطع الأشجار ثم تصالحا وتزوج ابنة ابن محكان . ودخل صالح البلد إلّا أنه كان أكثر مقامه بالحلة . ثم إن ابن محكان راسل أهل عانة ، فأطاعوه ، ونقل أهله وماله إليهم ، وأخذ رهائنهم . ثم خرجوا عن طاعته وأخذوا ماله واستعادوا رهائنهم ، وردُّوا أولاده . فاجتمع ابن محكان ، وصالح على قصد عانة فسارا إليها . فوضع صالح على ابن محكان من يقتله فقتل غيلة ، وسار صالح إلى الرحبة فملكها ، وأخذ أموال ابن محكان وأحسن إلى الرعية ، واستمرَّ على ذلك إلا أن الدعوة للمصريين .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة قُتِلَ أبو علي بن ثمال الخفاجي . وكان الحاكم بأمر الله صاحب مصر قد ولاة الرحبة، فسار إليها، فخرج إليه عيسى بن خلاط العقيلي ، فقتله وملك الرحبة ثم ملكها بعده غيره ، فصار أمرها إلى صالح بن مرداس الكُلابي

صاحب حلب . وفيها صرف أبو عمر بن عبد الواحد الهاشمي عن قضاء البصرة ، وكان قد علا

إسناده في رواية السنن لأبي داود السجستاني ومن طريقه سمعناه ، وولي القضاء بعده أبو الحسن بن أبي الشوارب فقال العصفري الشاعر :

¬ عندي حديثٌ ظريفٌ بمثلهِ يتغنى من قاضيين يعزى هذا وهذا يهنا

¬ فذا يقول إكرهونا وذا يقول استرحنا ويكذبان ونهذي فمن يصدق منا

وتيها توفي أبو داود بن سيامرد بن باجعفر ، ودُفِنَ عند قبر الذوربنهر المعلى وقبته مشهورة(1) ، وأبو محمد النامي الفقيه الشافعي (2) وهو القائل :

يـاذا الذي قاسَمَني في البـلا فاختارَ أن يسكنَهُ أولا

مـا وطنـت نفسـي ولكنَّهـا تسري إليكم منزلا منزلا

(ا) لم أعثر على ترجمته.

(2) لم أعثر على ترجمته إلا في اليتيمة قال : هو للعلم مجمع وللأدب مفزع واليه الرحلة اليوم ببغداد في تدريس كتب الشافعي رحمه الله مع الشيخ أبي حامد الاسفرائيني ايده الله . وله لسان يستوفى أقسام النصاحة . ويجمع بين العذوبة . وحسن العبارة والبراعة . وشعر يشرف بصاحبه .

ثم دخلت سنة اربعمائة

ذكر وقعة نارين (1) بالهند

في هذه السنة تجهزَ يمين الدولة إلى الهند عازماً على غزوها ، فسار إليها واخترقها ، واستباحها ونكس أصنامها . فلمَّا رأى ملك الهند انه لا قوة له به ، راسله في الصلح والهدنة على مال يؤديه وخمسين فيلاً وان يكون له في خدمته الفا فارس لا يزالون ، فقبض منه ما بذله ، وعاد عنه إلى غزنة (2) .

ذكر الخلف بين بدر بن حسنويه وابنه هلال

في هذه السَّنة كانت حرب بين بدر بن حسنويه الكردي ، وبين ابنه هلال . وكان سبب الوحشة بينهما أن أم هلال كانت من الشاذنجان ، فاعتزلها أبوه عند ولادته ، فنشأ هلال مبعداً منه لا يميل إليه . وكانت نعمة بدر لابنه الآخر أبي عيسى ، فلمَّا كان في بعض الأيام خرج هلال مع أبيه متصيداً ، فرأيا سبعاً ، وكان بدر إذا رأى سبعاً قتله بيده . فتقدّم هلال إلى الأسد بغير إذن أبيه ، فقتله فاغتاظ أبوه وقال : كأنك قد فتحت فتحاً ، وأي فرق بين السبع والكلب ؟ ورأى إبعاده عنه لشدته فاقطعه الصامغان ، وسهل ذلك على هلال لينفرد بنفسه عن أبيه . فأول ما فعله أنه أساء ومجاورة ابن الماضي صاحب شهرزور ، وكان موافقاً لأبيه بدر ، فنهى بدر ابنه هلالاً عن معارضته ،

(ا) قال صدر الأفاضل : هي بلفظ نار التي هي واحدة النيران وبعدها ألف ثم ياء مثناة تحتانية ثم نون من ديار الهند .

(2) ظاهر كلام العتبي في تاريخه ان يمين الدولة أوقع بعظيم العلوج وغنم من الخيول والأموال والأفيال شيئاً كثيراً ثم رجع الى غزنة ولما رأى ملك الهند ما صبه الله عليه وعلى

أهل مملكته من وسط العذاب بوقائع السلطان يمين الدولة فيهم ونكايته فى قاصيهم ودانيهم وايقن أنه لا قبل له بثقل وطأته وخشونة جانبه ارسل إليه . اعيان اقاربه يلتمس منه هدنة ويقدم له ما ذكره المؤلف تنبه لذلك .

فلم يسمع توله ، وأرسل إلى ابن الماضي يتهدده ، فأعاد بدر مراسلة ابنه في معناه وتهدده إن تعرض لشيء هو له . فكان جواب نهيه أنه جمع عسكر ، وحصر شهرزور ، ففتحها وقتل ابن الماضي ، وأهله ، وأخذ أموالهم . فورد على بدر من ذلك ما ازعجه ، وأقلقه وأظهر السخط على هلال . وشرع هلال يفسد جند أبيه ويستميلهم ويبذل لهم . فكثر أصحاب هلال لإحسانه إليهم وبذله المال لهم ، وأعرض الناس عن بدر لإمساكه المال . فسار كل واحد منهما إلى صاحبه ، فالتقيا على باب الدينور .

فلمَّا تراءى الجمعان إنحازت الأكراد إِلى هلال ، فأخِذَ بدر أسيراً وحُمِلَ إِلى ابنه ، فأشير على هلال بقتله وقالوا لا يجوز أن تستبقيه بعدما أوحشته فقال : ما بلغ من عقوقي له أن أقتله . وحضر عند أبيه وقال له : أنت الأمير، وأنا مدبر جيشكَ ، فخادعه أبوه بأن قال له لا يسمعن هذا منك أحد فيكون هلاكنا جميعاً ، وهذه القلعة لك والعلامة في تسليمها كذا وكذا واحفظ المال الذي بها ، فإنك الأمير مادام الناس يظنون بقاءك . وأريد أن تفرد لي قلعة أتفرغ فيها للعبادة . ففعل ذلك وأعطاه جملة من المال .

فلمَّا استقرَّ بدر بالقلعة عمرها وحضنها ، وراسل أبا الفتح بن عناز ، وأبا عيسى شاذي بن محمد – وهو باساد أباذ – يقول لكل واحد منهما ليقصد أعمال هلال ويشعثها. فسار أبو الفتح إلى قرميسين ، فملكها ، وسار أبو عيسى إلى سابور خواست فنهب حلل هلال . ومضى إلى نهاوند وبها أبو بكر بن رافع ، فاتبعه هلال إليها ووضع السيف في الديلم ، فقتل منهم

أربعمائة نفس منهم تسعون أميراً . وأسلم ابن رافع أبا عيسى إلى هلال فعفا عنه . ولم يؤاخذه على فعله وأخذه معه . وأرسل بدر إلى الملك بهاء الدولة يستنجده ، فجهَّزَ فخر الملك أبا غالب في جيش وسيَّره إلى بدر ، فسار حتى وصل إلى سابور خواست ، فقال هلال لأبي عيسى شاذي : قد جاءت عساكر بهاء الدولة فما الرأي ؟ قال : الرأي أن تتوقف عن لقائهم وتبذل لبهاء الدولة الطاعة ، وترضيه بالمال فإن لم يجيبوك فضيق عليهم ، وانصرف بين أيديهم فإنهم لا يستطيعون المطاولة . ولا تظن هذا العسكر كمن لقيته بباب نهاوند فإن أولئك ذللهم أبوك على ممر السنين فقال : " غششتني ولم تنصحني وأردت بالمطاولة أن يقوى أبي وأضعف أنا وقتله " . وسار ليكبس العسكر ليلاً فلمَّا وصل إليهم وقع الصوت ، فركب فخر الملك

في العساكر ، وجعل عند أثقالهم من يحميها ، وتقدَّم إلى قتال هلال ، فلمَّا رأى هلال صعوبة الأمر ندِمَ ، وعلم أن أبا عيسى بن شاذي نصحه ، فندم على قتله . ثم أرسل إلى فخر الملك يقول له : " إنني ما جئت لقتالٍ وحرب ، إنما جئت لأكون قريباً منك وأنزل على حكمك فترد العسكر عن الحرب فإننيً أدخل في الطاعة " ، فمال فخر الملك إلى هذا القول ، وأرسل الرسول إلى بدر ليخبره بما جاء به . فلمَّا رأى بدر الرسول سبَّه وطردَهُ ، وارسل إلى فخر الملك يقول له : " إن هذا مكرٌ من هلال لما رأى ضعفه والرأي أن لا تنفس خناقه أ ، فلمَّا سَمِعَ فخر الملك الجواب ، قويت نفسه – وكان يتهم بدراً بالميل إلى ابنه –وتقدَّم إلى الجيش بالحرب ، فقاتلوا . فل! يكن بأسرع من أن أتِيَ بهلال أسيراً . فقبل الأرض ، وطلب أن لا يسلمه إلى أبيه ، فأجابه إلى ذلك ، وطلب علامته بتسليم القلعة ، فأعطاهم العلامة فامتنعت أمه ومن بالقلعة من التسليم ، وطلبوا الأمان فأمنهم فخر الملك . وصد القلعة ومعه أصحابه ثم نزل منها وسئَمها إلى بدر . وأخذ ما فيها من الأموال وغيرها ، وكانت عظيمة ، قيل : كان بها أربعون الف بدرة دراهم وأربعمائة بدرة ذهباً ، سوى الجواهر النفيسة ، والثياب ، والسلاح ، وغير ذلك . وأكثر الشعراء من ذكر هذا ، فممن قال مهيار(١) :

فظنُوكَ تعباً بحملِ العـراق كانْ لم يروكَ حملْتَ الجبالا

ولو لم تكنْ في العلو السماءُ لما كان غنمك منها هـلالا

سريت إليه فكنت السـرار لـه ولبدر أبيه كمـالا

(وهي كثيرة)

ذكر عود المؤيد إلى إمارة الأندلس وما كان منه

قد ذكرنا سبب خلعه وحبسه ، فلمَّا كان هذه السنة أعيد إلى خلافته ، واسمه هشام بن الحاكم بن عبد الرحمن الناصر ، وكان عوده تاسع ذي الحجة . وكان الحكم في دولته هذه إلى واضح العامري ، وأدخل أهل قرطبة إليه فوعدهم ومنَاهم . وكتب إلى البربر الذين مع سُليمان بن الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، ودعاهم إلى طاعته والوفاء ببيعته ، فلم يجيبوه إلى ذلك. فأمر أجناده وأهل قرطبة بالحذر والاحتياط ، فأحبَّهُ الناس . ثم نقِلَ إليه ، أن نفراً من الأمويين بقرطبة قد كاتبوا سُليمان

وواعدوه ليكون بقرطبة في السابع والعشرين من ذي الحجة ، ليسلموا إليه البلد . فأخذهم وحبسهم .

فلمَّا كان الميعاد قَدِمَ البربر إِلى قرطبة . فركب الجند وأهل قرطبة ، وخرجوا إِليهم مع المؤيد ، فعاد البربر وتبعهم عساكره فلم يلحقوهم ، وترددت الرسل بينهم فلم يتفقوا على شيء . ثم ان سليمان والبربر راسلوا ملك الفرنج يستمدونه ، وبذلوا له تسليم حصون ، كان المنصور بن أبي عامر قد فتحها منهم . فأرسل ملك الفرنج إلى المؤيد يعرفُهُ الحال ، ويطلب منه تسليم هذه الحصون لئلا يمد سليمان بالعساكر . فاستشار أهل قرطبة في ذلك ، فأشاروا بتسليمها إليه خوفاً من أن ينجدوا سُليمان . واستقر الصلح في المحرم سنة إحدى وأربعمائة .

فلمَّا أيس البربر من إنجاد الفرنج رحلوا ، فنزلوا قريباً من قرطبة في صفر سنة إحدى وأربعمائة ، وجعلت خيلهم تغير يميناً وشمالا وخربوا البلاد . وعمل المؤيد ، وواضح العامري سوراً وخندقاً على قرطبة أمام السور الكبير،. ثم نازل سليمان قرطبة خمسة وأربعين يوماً ، فلم يملكها . فانتقل إلى الزهراء وحصرها وقاتل من بها ثلاثة أيام .

ثم ان بعض الموكلين بحفظه سلَّمَ إليه الباب الذي هو موكل بحفظه ، فصعد البربر السور ، وقاتلوا من عليه حتى أزالوهم ، وملكوا البلد عنوة ، وقتل أكثر من به من الجند ، وصعد أهله الجبل واجتمع الناس بالجامع فأخذهم البربر ،

وذبحوهم حتى النساء ، والصبيان ، وألقوا النار في الجامع ، والقصر ، والديار فاحترق أكثر ذلك ، ونُهِبَت الأموال .

ثم إن واضحاً كاتب سليمان يعرّفهُ أنه يريد الانتقال عن قرطبة سراً ويشير عليه لمنازلتها بعد مسيره عنها ، ونما الخبر إلى المؤيد ، فقبض عليه وقتله ، واشتد الأمر بقرطبة ، وعظم الخطب وقلَّت الأقوات وكَثُرَ الموت . وكانت الأقوات عند البربر أقل منها بالبلد ، لأنهم كانوا قد خربوا البلاد . وجلا أهل قرطبة ، وقتل المؤيد كل من مال إلى سُليمان ، ثم إن البربر ، وسليمان لازموا الحصار والقتال لأهل قرطبة وضيّقوا عليهم . وفي مدة هذا الحصار ظهر بطليطلة عبيدالله بن محمد بن عبد الجبار وبايعه أهلها ، فسيَّر إليهم المؤيد جيشاً ، فحصروهم فعادوا إلى الطاعة وأخذ عبيدالله أسيراً

وقتلَ في شعبان سنة إحدى وأربعمائة . ثم إن أهل قرطبة قاتلوا في بعض الأيام البربر– فقتل منهم خلق كثير ، وغرق في النهر مثلهم فرحلوا عنها . وساروا إِلى إشبيلية فحصروها . فأرسل المؤيد إليها جيشاً فحماها ، ومنع البربر عنها . وراسل سليمان نائب المؤيد بسرقسطة وغيرها ، يدعوهم إليه ، فأجابوه وأطاعوه . فسار البربر وسُليمان عن إشبيلية إلى قلعة رباح ، فملكوها ، وغنموا ما فيها ، واتخذوها داراً ، ثم عادوا إلى قرطبة ، فحصروها وقد خرج كثير من أهلها وعساكرها من الجوع ، والخوف ، واشتدَّ القتال عليها ، وملكها سُليمان عنزً وقهراً وقتلوا من وجدوا في الطريق ، ونهبوا البلد ، وأحرقوه فلم تحصَ القتلى لكثرتهم . ونزل البربر في الدُّور التي لم تحرق . فنال أهل قرطبة من ذلك ما لم يسمع بمثله . وأخرج المؤيد من القصر وحُمِلَ إلى سليمان . ودخل سليمان قرطبة ، منتصف شوَّال سنة ثلاث وأربعمائة ، وبويع له بها . ثم إن المؤيد جرى له مع سُليمان أقاصيص طويلة ، ثم خرج إلى شرق الأندلس من عنده ، وكان ممن قتل في هذا الحصر أبو الوليد بن الفرضي مظلوماً رحمه الله .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة أرسل الحاكم بأمر الله من مصر إلى المدينة ، ففتح بيت جعفر الصادق ، وأخرج منه مصحف ، وسيف ، وكساء ، وقعب ، وسرير(1) .

وفيها نقص الماء بدجلة حتى أصلحت ما بين أو انا وقريب بغداد حتى جرت السفن فيها(2) . وفيها مَرِضَ أبو محمد بن سهلان ، فاشتد مرضه ، فنذر إن عوفيَ بنى سوراً على مشهد

أمير المؤمنين علي عليه السلام ، فعوفي ، فأمر ببناء سور عليه ، فبني

(ا) تفصيل الحادثة هو أن الحاكم بأمر الله ملك مصر أرسل الى المدينة الى دار جعفر بن محمد الصادق من فنحها وأخذ منها ما كان فيها – وهذه الدار لم تكن فتحت بعد موت صاحبها إلى حينئذ وكان الذى فتحها ختكين العضدى الداعى – فكان فيها مصحف وسرير وآلات وكان مع المصحف قعب خب مطوق بحديد وحرقة خيزران وحربة . وحمل معه رسوم الأشراف وعاد الى مصر بما وجد فى الدار وخرج معه من شيوخ العلويين جماعة الى الديار المصرية فلمَّا وصلوا إلى الحاكم أطلق لهم نفقات قليلة ورد عليهم السرير واخذ الباقى وتال : أنا أحق به فانصرفوا وهم ذامون له داعون عليه .

(2) فى البداية والنهاية 11 / 365 " فى ربيع الآخر منها نقصت دجلة نقماً كثيراً حتى ظهرت جزائر لم تعرف وامتنع سير السنن فى أعاليها من أذنة والراشدية فأمر بكرى تلك الأماكن "

في هذه السنة . تولى بناءه أبو إسحاق الأرجاني . وفيها ولد عدنان بن الشريف الرضي.

وفيها توفي النقيب أبو أحمد الموسوي ، والد الرضي بعد أن أضرَّ ووقف بعض أملاكه على البر، وصلَّى عليه ابنه الأكبر المرتضى ، ودُفِنَ بداره ، ثم نقل إلى مشهد الحسين عليه السلام . وكان مولده سنة أربع وثلاثمائة(1) . وفيها توفي أيضاً أبو جعفر الحجاج بن هرمز بالأهواز(2) ، وعمدة الدولة أبو إسحاق بن معز الدولة بن بويه بمصر . وفيها مرض الخليفة القادر بالله ، واشتد مرضه فارجف عليه ، فجلس للناس وبيده القضيب (3) فدخل إليه أبو حامد الأسفرايني فقال لابن حاجب النعمان : إسأل أمير المؤمنين أن يقرأ شيئاً من القرآن ليسمعَ الناس قراءته . فقرأ { لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم } الآيات الثلاث (4) وفيها توفي أبو العباس النامي الشاعر(5) .

(1) هو الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق الشريف كان سيداً عظيماً مطاعاً كانت هيبته أشد من هيبة الخلفاء خاف منه عضد الدولة فاستصفى أمواله . وكانت منزلته عند بهاء الدولة ارفع المنازل ولقبه بالطاهر، والأوحد ، وذي المناقب وكان فيه كل الخصال الحسنة إلا أنه كان رافضياً هو وأولاده على مذهب القوم . ولي نقابة الطالبيين نحواً من خمس مرات يعزل ويعاد وتولى النظر في المظالم والحج بالناس وقد تقدم ذكر ذلك توفى ببغداد وصلى عليه ابنه المرتضى ودفن في داره ثم نقل إلى مشهد الحسين .

(2) كان نائب بهاء الدولة على العراق وكان تليده لقتال الاعراب والأكراد وكان من المقدمين في أيام عضد الدولة وله خبرة تامة بالحروب وحزمة شديدة وشجاعة وافرة وهمة عالية وآراء سديدة . ولما خرج من بغداد كثرت فيها الفتن توفي عن مائة وخمس سنين .

(3) في البداية والنهاية 11 / 365 " فجلس للناس يوم جمعة بعد الصلاة وعليه البردة وبيده القضيب " .

(4) زاد في البداية والنهاية 11 / 365 فتباكى الناس ودعوا وانصرفوا .

(5) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المصيصي المعروف بالنامي الشاعر المشهور. قال ابو منصور الثعالبي في وصفه : هو شاعر من فحولة شعراء العصر. وخواص شعراء سيف الدولة بن حمدان وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والمرتبة .

وكان فاضلاً أديباً مقدماً في اللغة عارفاً بالأدب . وله أمالي أملاها بحلب . روى فبها عن أبي الحسين بن سليمان الاخفش . وابن درستويه . وأبي عبد الله الكرماني . وأبي بكر الصولي . وأبيه محمد المصيصي . وروى عنه ابو القاسم الحسين بن علي بن أبي اسامة الحلبي . وأخوه أبو الحسين أحمد . وأبو الفرج الببغاء . والقاضي أبو طاهر. وصالح بن جعفر الهاشمي ، وله مع المتنبي وقائع ومعارضات في الأناشيد. توفي بحلب وعمره تسعون سنة.

وأبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب الشاعر، صاحب الطريقة المشهورة في التجنيس . فمن شعره :

ـ يا أيها السائلُ عـن مذهبي لتقتـدي فيه بمـنهاجي

ـ منهاجي العدلُ وقمعُ الهوى فهلْ لمنهاجي مِنْ هاجي

ثم دخلت سنة إحدى وأربعمائة

ذكر غزوة يمين الدولة بلاد الغور(1) وغيرها

بلاد الغور تجاور غزنة ، وكان الغور يقطعون الطريق ويخيفون السبيل ، وبلادهم جبال وعرة ، ومضايق غلقة ، وكانوا يحتمون بها ويعتصمون بصعوبة مسلكها . فلمَّا كثُرَ ذلك منهم ، أنف يمين الدولة محمود بن سبكتكين أن يكون مثل أولئك المفسدين جيرانه ، وهم على هذه الحال من الفساد والكفر . فجمع العساكر وسار إليهم ، وعلى مقدمته التونتاش الحاجب صاحب هراة ، وأرسلان الجاذب صاحب طوس – وهما أكبر أمرائه – فسارا فيمن معهما حتى انتهوا إلى مضيق قد شحن بالمقاتلة ، فتناوشوا الحرب وصبر الفريقان . فسمع يمين الدولة الحال فجدَّ في السير إِليهم ، وملك عليهم مسالكهم . فتفرقوا وساروا إلى عظيم الغورية المعروف بابن سوري (2)فانتهوا إلى مدينته التي تدعى آهنكران (3) ، فبرز من المدينة في عشرة آلاف مقاتل ، فقاتلهم المسلمون إلى ان انتصف النهار ، فرأوا أشجع الناس وأقواهم على القتال . فأمر يمين الدولة أن يولوهم الأدبار على سبيل الاستدراج ففعلوا . فلمَّا رأى الغورية ذلك ظنُّوه هزيمة ، فاتبعوهم حتى أبعدوا عن مدينتهم ، فحينئذ عطف المسلمون عليهم ووضعوا السيوف فيهم ، فأبادوهم قتلاً وأسراً ، وكان في الأسرى كبيرهم وزعيمهم ابن سوري ، ودخل المسلمون المدينة ، وملكوها وغنموا ما فيها ، وفتحوا تلك القلاع والحصون التي لهم جميعاً . فلمَّا عاين ابن سوري ما فعل

(1) بضم الغين المعجمة وسكون ثانية وآخره راء وتسمى الجبال :

(2)سررى يسين مهملة مضمومة يعدها واو ساكنة ثم راء مهملة مفتوحة ثم ياء ساكنة.

(3) هى بهمزة ممدودة. فى الأصل جمع آهنكر وهو الحداد.

المسلمون بهم شرب سمَّاً كان معه ، فمات وخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

وأظهر يمين الدولة في تلك الأعمال شعار الاسلام ، وجعل عندهم من يعلِّمهم شرائعه وعاد ، ثم سار إلى طائفة أخرى من الكفار فقطع عليهم مفازة من رمل ، ولحق عساكره عطش شديد كادوا يهلكون ، فلطف الله سبحانه وتعالى بهم . وأرسل عليهم مطراً سقاهم ، وسهل عليهم السير في الرمل . فوصل إلى الكفار ، وهم جمع عظيم ومعهم ستمائة فيل ، فقاتلهم أشد قتال صبر فيه بعضهم لبعض ثم إن اللّه نصر المسلمين ، وهزم .الكفار وأخذ غنائمهم ، وعاد سالماً مظفراً منصوراً .

ذكر الحرب بين أيلك الخان وبين أخيه

وفي هذه السنة سار أيلك الخان فبم جيوش ، قاصداً قتال أخيه طغان خان . فلمَّا بلغ أوزكند سقط من الثلج ما منعهم من سلوك الطرق ، فعاد إلى سمرقند ، وكان سبب قصده أن أخاه أرسل إلى يمين الدولة ، يعتذر ويتنصل من قصد أخيه أيلك الخان بلاد خراسان ويقول : إني ما رضيت ذلك منه ، ويلزم أخاه وحده الذنب ، وتبرأ هو منه . فلمَّا علم أخوه أيلك الخان ، ذلك ساءه وحمله على قصده .

ذكر الخطبة للمصريين العلويين بالكوفة والموصل

في هذه السنة أيضاً ، خطب قرواش بن المقلد أمير بني عقيل للحاكم بأمر الله العلوي صاحب مصر بأعماله كلها وهي الموصل ، والأنبار ، والمدائن ، والكوفة ، وغيرها . وكان ابتداء الخطبة بالموصل الحمد لله الذي انجلت بنوره غمرات الغضب

، وانهدت بقدرته أركان النصب ، واطلع بنوره شمس الحق من العرب . فأرسل القادر بالله أمير المؤمنين القاضي أبا بكر بن الباقلاني إلى بهاء الدولة ، يعرفه ذلك وأن العلويين والعباسيين ، انتقلوا من الكوفة إلى بغداد ، فأكرم بهاء الدولة القاضي أبا بكر ، وكتب إِلى عميد الجيوش يأمره بالمسير إلى حرب قرواش ، وأطلق له مائة ألف دينار ينفقها في العسكر ، وخلع على القاضي أبي بكر ، وولّاه قضاء عمان والسواحل . وسار عميد الجيوش إلى حرب قرواش ، فأرسل يعتذر ، وقطع خطبة العلويين وأعاد خطبة القادر بالله .

ذكر الحرب بين بني مزيد ، وبين دبيس

كان أبو الغنائم محمد بن مزيد مقيماً عند بني دبيس في جزيرتهم بنواحي خوزستان ، لمصاهرة بينهم . فقتل أبو الغنائم أحد وجوههم ، ولحق بأخيه أبي الحسن علي بن مزيد ، فتبعوه فلم يدركوه ، وانحدر إليهم سند الدولة أبو الحسن بن مزيد في ألفي فارس ، واستنجد عميد الجيوش فانحدر إليه عجلاً في زبزبة في ثلاثين ديلمياً . وسار ابن مزيد إليهم ، فلقيهم واقتتلوا . فقتل أبو الغنائم ، وانهزم ابو الحسن بن مزيد فوصل الخبر بهزيمته الى عميد الجيوش وهو منحدر . فعاد .

ذكر وفاة عميد الجيوش (ا) وولاية فخر الملك العراق

في هذه السنة توفي عميد الجيوش أبو علي بن أستاذ هرمز ببغداد . وكانت ولايته ثمان سنين وأربعة أشهر وسبعة عشر يوماً وكان عمره تسعاً وأربعين سنة . وتولى تجهيزه ودفنه الشريف الرضي ، دفنه بمقابر قريش ، ورثاه الرضي وغيره وكان أبوه أبو جعفر أستاذ هرمز من حجاب عضد الدولة . وجعل عضد الدولة عميد الجيوش في خدمة ابنه صمصام الدولة . فلمَّا قُتِلَ اتصل بخدمة بهاء الدولة . فلمَّا استولى الخراب على بغداد وظهر العيارون وانحلت الأمور بها ، أرسله إليها فأصلح الأمور ، وقمع المفسدين وقتلهم (2) ، فلمَّا مات استعمل بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب . فأصعد إلى بغداد ، فلقيه الكتَّاب ، والقواد ، وأعيان الناس ، وزينوا له البلاد ، ووصل بغداد في ذي الحجة ، ومدحه مهيار ، وغيره من الشعراء . ومن محاسن أعمال عميد الجيوش أنه حمل إليه مال كثير ، قد خلّفه بعض التجار المصريين وقيل له :

ليس للميت وارث فقال : "لا يدخل خزانة السلطان ما ليس لها يترك إلى أن يصح خبره " . فلمَّا كان بعد مدة جاء أخ للميت بكتاب من مصر بأنه مستحق للتركة ، فقصد باب عميد الجيوش ليوصل الكتاب ، فرآه يصلي على روشن داره ، فظنّه بعض الحجاب ، فأوصل الكتاب إليه فقضى حاجته ، فلمَّا علم التاجر أن الذي أخذ الكتاب كان عميد

(1) واسمه الحسين .

(2) زاد في البداية والنهاية 11 / 1367 وأمر بعض غلمانه ان يحمل صينية فيها دراهم مكشوفة من أول بغداد الى آخرها وان يدخل بها في جميع الازقة فإن اعترضه أحد فليدفعها إليه . وليعرف ذلك المكان فذهب الغلام فلم يعترضه أحد فحمد الله وأثنى عليه .

الجيوش عظم الأمر عنده ، فأظهر ذلك فاستحسنه الناس . ولما وصل التاجر إِلى مصر أظهر الدعاء له فضج الناس بالدعاء له والثناء عليه . فبلغه الخبر فسره ذلك (1).

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة اشتدَّ الغلاء بخراسان جميعها ، وعدمَ القوت حتى أكل الناس بعضهم بعضاً . فكان الانسان يصيح الخبز الخبز ويموت . ثم تبعه وباء عظيم حتى عجز الناس عن دفن الموتى(3).

وفيها مات أبو الفتح محمد بن عناز بحلوان ، وكانت إمارته عشرين سنة . وقام بعده ابنه ابو الشوك فسيَّرت إليه العساكر من بغداد لقتاله ، ولقيهم أبو الشوك ، وقاتلهم قتالاً شديد ، وانهزم أبو الشوك إلى حلوان ، وأقام بها إلى أن صلح حاله مع الوزير أبي

(1) ومن محاسن أعماله أيضاً منع الروافض النياحةْ في يوم عاشوراء وما يتعاطونه من الفرح في يوم ثامن عشر ذي الحجة الذي يقال له : عيد غدير خم . وقد جاء في عدله وهيبته حكايات.

(2) سرد أبو نصر العتبي هذه الحادثة مفصلة في تاريخه فقال : ووقع القحط بنيسابور خصوصاً وفي سائر بلاد خراسان عموماً فهلك بنيسابور وبأطرافها دون غيرها مائة ألف أو يزيدون وكم دفن منهم بأطمارهم لضيق الأكفان بهم وعجز غسلة الأموات عنهم وكان الناس بين غلام وشاب وكهل وشيخ وفتاة وعجوز يتداعون الخبز الخبز ويذوبون على أنفسهم حتى

تغور عيونهم وتجب للموت جنوبهم ورعوا نبات الأرض حتى استحكم اليأس عن الزروع وانقطعت الأطماع عن الريوع وضاق بهم الأمر فجعلوا يتتبعون رمام العظام على رؤوس الكناسات تعللاً بها ومهما ذبح قصاب ذبيحة اجتمع عليها الفوج بعد الفوج يتقاسمون نجيعها بالكيزان والخزف تسكيناً لحرة الجوع واجتزاء به عن القوت فلم ينل منه أحد إلا سقط لجنبه وجاد عن كثب بنفسه وعهدي بهم يتتبعون سقاطات حب الشعير عن الأرواث وهيهات ان الشعير لأعيا الأنام فكيف البهائم والأنعام ثم تراقى الأمر إلى أن أكلت الأم ولدها والأخ أخاه والزوج زوجته ، وظل بعضهم يختلس بعضاً من شوارع الطريق إلى الخرابات فيطبخ منه ما شاء من الباجات . وحرمت الأسمان على الناس لكثرة ما صهر عليها من لحوم البشر فبيع في الأسواق وقبض على أقوام بلا عدد كانوا يغتالون السابلة فيصهرونهم على هذه الجملة ووجد في دورهم ما يغمر العدد من رؤوس الناس قد أكلت لحومهم وصهرت شحومهم . وأما الكلاب والسنانير فلم يبق منها إلا العدد اليسير وهاب أوساط الناس وأرباب الحرق أن يخترقوا وقت العشاء محلة نائية عن واسطة البلد الا في عديد وسلاح حديد .

وأمر السلطان يمين الدولة وأمين الملة بالكتب إلى عماله بصب الاموال على الفقراء والمساكين فاستبقى الله تعالى بها مهجات قوم قد أشرفت على الهلاك وأفتكهم من بين حنك الاحتناك فبقيت تلك السنة على حالها من القحط والغلاء إلى أن أدركت غلات سنة اثنين وأربعمائة فمن الله تعالى بإزالة

تلك الشدة وإطفاء تلك النائرة المتقدة وتدارك عباده بعد استحكام اليأس منهم بالغيوث الهامية والريوع الزاكية النامية

ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم .

غالب لما قدم العراق . وفيها توفي أبو عبدالله محمد بن مقن بن مقلد بن جعفر بن عمرو بن المهيا العقيلي .

وفي مقلد يجتمع آل المسيب وال مقن ، وكان عمره مائة وعشر سنين . وكان بخيلاً شديد البخل . –وشهد مع القرامطة أخذ الحجر الأسود .

وفيها،توفي الأمير أبو نصر أحمد بن أبي الحرث محمد بن فريغون صاحب الجوزجان . وكان صهر يمين الدولة على أخته . وكان هو وأبوه قبله يحبُّون العلماء ، ويحسنون إليهم . وفيها انقض كوكب كبير لم يرَ أكبر منه . وفيها زادت دجلة احدى. . وعشرين ذراعاً ، وغرق كثير من بغداد والعراق وتفجَّرت البثوق . . ولم يحج هذه السنة من العراق أحد . وفيها توفي إبراهيم بن محمد بن عبيد أبو مسعود الدمشقي الحافظ سافر الكثير في طلب الحديث ، وله عناية بصحيحي البُخاري ، ومسلم (ا) . وتوفي أيضاً خلف بن محمد بن علي بن حمدون أبو محمد الواسطي. كان فاضلاً(2) ، وله أطراف الصحيحين أيضاً .

(ا) هو ابراهيم بن محمد بن عبيد أبو مسعود الدمشقي الحافظ مصنف اطراف الصحيحين واحد من برز في هذا العلم : سافر الكثير وفي ببغداد عن اصحاب أبي . سعيد الحراني . وبالبصرة والأهواز وواسط وخراسان واصبهان وكان له عناية بالصحيحين روى قليلاً على سبيل المذاكرة وكان صدوقاً ديناً ورعاً فهما مات كهلا فلم ينشر حديثه قال الحافظ الذهبى : قد

وقفت له على جزء له فى أحاديث معللة تنبىء بحفظه ونقده مات فى رجب هذه السنة . وقيل سنة أربعمائة .

(2) رحل الى البلاد وسمع الكثير ثم عاد الى بغداد ثم رحل إلى الشام ومصر وكتب الناس عنه بانتخابه . وكانت له معرفة تامة وحفظ جيد ثم عاد الى بغداد واشتغل بالتجارة وترك النظر فى العلم .

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعمائة

ذكر ملك يمين الدولة قصدار(1)

في هذه السنة استولى يمين الدولة على قصدار ، وملكها . وسبب ذلك أن ملكها كان قد صالحه على قطيعة يؤديها إليه ، ثم قطعها اغتراراً بحصانة بلدَهِ ، وكثرة المضايق في الطريق ، واحتمى بأيلك الخان . وكان يمينُ الدولة يريدُ قصدَها، فيتقي ناحية أيلك الخان ، فلمَّا فسد ذات بينهما صمم العزم وقصدها ، وتجهَّز وأظهر أنه يريد هراة . فسار من غزنة في جُمادى الأولى . فلمَّا استقل على 1 الطريق ، سار نحو قصدار فسبق خبره ، وقطع تلك المضايق كل والجبل فلم يشعر صاحبها الاّ وعسكر يمين الدولة قد أحاط به ليلاً ، فطلب الأمان ، فأجابه ، وأخذ منه المال الذي كان قد اجتمع عنده ، وأقرَّهُ على ولايته وعاد .

ذكر أسر صالح بن مرداس وملكه حلب وملك أولاده

في هذه السنة كانت وقعة بين أبي نصر بن لؤلؤ صاحب حلب ، وبين صالح بن مرداس ، وكان ابن لؤلؤ من موالي سعد الدولة بن سيف الدولة بن حمدان ، فقوي على ولد سعد الدولة ، وأخذ البلد منه ، وخطب للحاكم صاحب مصر ولقبه الحاكم مرتض الدولة . ثم فَسُدَ ما بينه وبين الحاكم ، فطمع فيه ابن مرداس ، وبنو كلاب ، وكانوا يطالبونه بالصلات والخلع . ثم إنهم اجتمعوا هذه السنة في خمسمائة فارس ، ودخلوا مدينة حلب ، فأمر ابن لؤلؤ بإغلاق الأبواب والقبض عليهم ،. فقبض على مائة وعشرين رجلًا منهم صالح بن مرداس، وحبسهم وقتل مائتين ، وأطلق من لم يفكر به ، وكان

(1) هو بضم القاف وسكون الصاد وبالدال المهملة بعدها الف ثم راء ولاية مشهورة عند غزنة، وصحح ياقوت فى معجمه ان قصدار من نواحى السند.

صالح قد تزوج بابنة عم له تُسمَّى جابرة ، وكانت جميلة فوصفت لابن لؤلؤ فخطبها الى ابن أختها ، وكانوا في حبسه ، فذكروا له أن صالحاً قد تزوجها فلم يقبل منهم ، وتزوجها ثم أطلقهم ، وبقي صالح بن مرداس في الحبس فتوصل حتى صعد من السور ، وألقى نفسه من أعلى القلعة إلى تلّها واختفى في مسيل ماء . ووقع الخبر بهربه ، فأرسل ابن لؤلؤ الخيل في طلبه ، فعادوا ولم يظفروا به ، فلمَّا سكن عنه الطلب سار بقيده – ولبنة حديد في رجليه – حتى وصل قرية تعرف بالياسرية ، فرأى أناساً من العرب فعرفوه ، وحملوه إلى أهله بمرج دابق ، فجمع ألفي فارس ، فقصد حلب وحاصرها اثنين وثلاثين يوماً ، فخرج إليه ابن لؤلؤ فقاتله فهزمهم صالح وأسر ابن لؤلؤ ، وقيَّده بقيده الذي كان في رجله ولبنته ، وكان لابن لؤلؤ أخ ، فنجا وحفظ مدينة حلب . ثم ان ابن لؤلؤ بذل لابن مرداس مالاً على أن يطلقه ، فلمَّا استقر الحال بينهما ، أخذ رهائنه وأطلقه فقالت أم صالح لابنها ، " قد أعطاك الله مالاً كنت تؤمله ، فإن رأيت أن تتم صنيعك بإطلاق الرهائن ، فهو المصلحة فانه إن اراد الغدر بك لا يمنعه من عندك ، فأطلقهم " . فلمَّا دخل البلد حمل ابن لؤلؤ اليه أكثر مما استقر . وكان قد تقرر عليه مائتا . الف دينار ومائة ثوب ، وإطلاق كل أسير عنده من بني كلاب . فلمَّا انفصل الحال ، ورحل صالح ، أراد ابن لؤلؤ قبض غلامه فتح – وكان دزدار القلعة – لأنه اتهمه بالممالأة على الهزيمة ، وكان خلاف ظنه . فأطلع على ذلك غلاماً له – اسمه سرور– وأراد أن يجعله مكان فتح ، فأعلم سرور بعض أصدقائه ، يعرف بابن غانم .

وسبب إِعلامه أنه حضر عنده ، وكان يخاف ابن لؤلؤ لكثرة ماله فشكا إلى سرور ذلك . فقال نه : سيكون أمر تأمن معه . فسأله فكتمه فلم يزل يخدعه حتى أعلمه الخبر . وكان بين ابن غانم وبين فتح مودة فصعد إليه بالقلعة متنكراً فاعلمه الخبر وأشار عليه بمكاتبة الحاكم ، صاحب مصر . وأمر ابن لؤلؤ أخاه أبا الجيش بالصعود إلى القلعة بحجة افتقاد الخزائن ، فإذا صار فيها قبض على فتح ، وأرسل إلى فتح يعلمه أنه يريد افتقاد الخزائن ، ويأمره بفتح الأبواب فقال فتح : " إنني قد شربْتُ اليوم دواء ، واسأل تأخيرَ الصعود في هذا اليوم ، فإنني لا أثقُ في فتح الأبواب لغيري " . وقال للرسول : " اذا لقيته فارده ". فلمَّا عَلِمَ ابن لؤلؤ الحال أرسل والدته إلى فتح . ليعلم سبب ذلك . فلمَّا صدت اليه أكرمها وأظهر لها الطاعة ، فعادت وأشارت على ابنها بترك محاققته ففعل . وأرسل اليه يطلب جوهراً كان له بالقلعة ، فغالطه فتح ولم

يرسله . فسكت على مضض لعلمه أن المحاققة لا تفيد لحصانة القلعة . وأشارت والدة أبن لؤلؤ عليه بأن يتمارض ، ويُظهرَ شدَّةَ المرض ، ويستدعي فتحاً لينزل إليه ليجعله وصياً . فإذا حضر قبضه . ففعل ذلك فلم ينزل فتح واعتذر .

وكاتب الحاكم وأظهر طاعته وخطب له وأظهر العصيان على أستاذه . وأخذ من الحاكم صيدا ، وبيروت وكل ما في حلب من الأموال ، وخرج ابن لؤلؤ من حلب إلى انطاكية وبها الروم ، فأقام عندهم . وكان صالح بن مرداس قد مالأ فتحاً على ذلك . فلمَّا عاد عن حلب استصحب معه والدة ابن لؤلؤ ونساءه ، وتركهن بمنبج ، وتسئم حلب نواب الحاكم ، وتنقلت بأيديهم حتى صارت بيد إنسان من الحمدانية يُعرفُ بعزيز الملك ، فقدمه الحاكم واصطنعه وولاه حلب . فلمَّا قتل الحاكم وولي الظاهر عصى عليه فوضت ست الملك أخت الحكم فراشاً له على قتله فقتله . وكان للمصريين بالشام نائب يعرف بانوشتكين البربري وبيده دمشق ، والرملة ، وعسقلان ، وغيرها . فاجتمع حسان أمير بني طي ، وصالح بن مرداس أمير بني كلاب ، وسنان بن عليان ، وتحالفوا واتفقوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح ، ومن الرملة إلى مصر لحسان ، ودمشق لسنان .

فسار حسان إلى الرملة فحصرها وبها أنوشتكين ، فسار عنها إلى عسقلان ، واستولى عليها حسان ونهبها وقتل أهلها وذلك سنة أربع عشرةَ وأربعمائة ، أيام الظاهر لإعزاز دين الله خليفة مصر . وقصد صالح حلب وبها إنسان يُعرف بابن ثعبان يتولى أمرها للمصريين ، وبالقلعة خادم يُعرف بموصوف ، فأما

أهل البلد فسلموه إِلى صالح لإحسانه إليهم ، ولسوء سيرة المصريين معهم . وصعد ابن ثعبان إلى القلعة ، فحصره صالح بالقلعة فغار الماء الذي بها ، فلم يبقَ لهم ما يشربون ، فسلّم الجند القلعة إليه وذلك سنة أربع عشرة . وملك من بعلبك إلى عانة وأقام بحلب ست سنين .

فلمَّا كانت سنة عشرين وأربعمائة جهَّز الظاهر صاحب مصر جيشاً ، وسيَّرهم إلى الشام لقتال صالح ، وحسان . وكان مقدم العسكر أنوشتكين البربري . فاجتمع صالح وحسان على قتاله فاقتتلوا بالأقحوانة على الأردن عند طبرية ، فقتل صالح وولده الأصغر ، ونفذ رأسهما إلى مصر ، ونجا ولده أبو كامل نضر بن صالح . فجاء إلى حلب وملكها ، وكان لقبه شبل الدولة ، فلمَّا علمت الروم بانطاكية الحال ، تجهَّزوا

إلى حلب في عالم كثير فخرج أهلها فحاربوهم ، فهزموهم ونهبوا أموالهم ، وعادوا إلى أنطاكية . وبقي شبل الدولة مالكاً لحلب الى سنة تسع وعشرين وأربعمائة . فأرسل اليه الدزبري (1) العساكر المصرية وصاحب مصر حينئذ المستنصر بالله فلقيهم عند حماة ، فقتل في شعبان . وملك الدزبري حلب في رمضان سنة تسع وعشرين ، وملك الشام جميعه وعظم أمره وكثر ماله ، وارسل يستدعي الجند الأتراك من البلاد . فبلغ المصريين عنه أنه عازم على العصيان فتقدموا إلى أهل دمشق بالخروج عن طاعته ففعلوا فسار عنها نحو حلب في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين ، وتوفي بعد ذلك بشهر واحد .

وكان أبو علوان ثمال بن صالح بن مرداس الملقب بمعز الدولة بالرحبة . فلمَّا بلغه موت الدزبري جاء إلى حلب ، فملكها تسليماً من أهلها وحصر امرأة الدزبري وأصحابه بالقلعة أحد عشر شهراً ، وملكها في صفر سنة أربع وثلاثين . فبقي فيها الى سنة أربعين . فأنفذ المصريون إلى محاربته أبا عبدالله بن ناصر الدولة بن حمدان ، فخرج أهل حلب إلى حربه فهزمهم ، واختنق منهم بالباب جماعة . ثم إنه رحل عن حلب وعاد إلى مصر وأصابهم سيل ذهب بكثير من دوابهم وأثقالهم ، فأنفذ المصريون إلى قتال معز الدولة خادماً يُعرف يرفق . فخرج إليه في أهل حلب ، فقاتلوه فانهزم المصريون ، وأسر رفق ، ومات عندهم وكان أسره سنة إحدى وأربعين في ربيع الأول . ثم إن معز الدولة بعد ذلك أرسل الهدايا إلى المصريين ، وأصلح أمره معهم ، ونزل لهم عن حلب ، فأنفذوا إليها أبا

علي الحسن بن علي بن ملهم ، ولقبوه مكين الدولة ، فتسلمها من ثمال في ذي القعدة سنة تع وأربعين .

وسار ثمال إلى مصر في ذي الحجة ، وسار أخوه أبو ذؤابة عطية بن صالح الى الرحبة ، وأقام ابن ملهم بحلب . فجرى بين بعض السودان وأحداث حلب حرب ، وسمع ابن ملهم أن بعض أهل حلب ، قد كاتب محمود بن شبل الدولة نصر بن صالح يستدعونه ، ليسلموا البلد اليه فقبض على جماعة منهم . وكان منهم رجل يُعرفُ بكامل بن نباتة ، فخاف ، فجلس يبكي . وكان يقول لكل من سأله عن بكائه : " إن أصحابنا الذين أخذوا قد قُتِلُوا وأخاف على الباقين " . فاجتمع أهل البلد واشتدوا ، وراسلوا محموداً – وهو منهم على مسير يوم – يستدعونه ، وحصروا ابن ملهم ، وجاء

محمود وحصره معهم في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين . ووصلت الأخبار إلى مصر ، فسيَّروا ناصر الدولة أبا علي بن ناصر الدولة بن حمدان في عسكر بعد اثنين وثلاثين يوماً من دخول محمود حلب ، فلمَّا قارب البلد خرج محمود عن حلب إلى البرية واختفى الأحداث جميعهم . وكان عطية بن صالح نازلاً بقرب البلد وقد كره فعل محمود ابن أخيه فقبض ابن ملهم على مائة وخمسين من الأحداث ، ونهب وسط البلد وأخذ أموال الناس ، وأما ناصر الدولة فلم يمكن أصحابه من دخول البلد ونهبه . وسار في طلب محمود، فالتقيا بالغنيدق في رجب . فانهزم أصحاب ابن حمدان ، وثبت هو ، فجُرِحَ وحُمِلَ إلى محمود أسيراً فأخذه ، وسار إلى حلب ، فملكها وملك القلعة في شعبان سنة اثنتين وخمسين وأربعمائْة .

وأطلقَ ابن حمدان ، فسار هو وابن ملهم إلى مصر . فجهز المصريون معز الدولة ثمال بن صالح إلى ابن أخيه ، فحصره في حلب في ذي الحجة من السنة " فاستنجد محمود خاله منيع بن شبيب بن وثاب النميري صاحب حرَان ، فجاء إليه ، فلمَّا بلغ ثمالاً مجيئه ، سار عن حلب إلى البريةَ في المحرم سنة ثلاث وخمسين ، وعاد منيع إلى حران ، فعاد ثمال إلى حلب ، وخرج إليه محمود ابن أخيه فاقتتلوا ، وقاتل محمود قتالاً شديداً . ثم انهزم محمود ، فمضي إلى أخواله بني نُمير بحران ، وتسئم ثمال حلب في ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين ، وخرج إلى الروم فغزاهم ، ثم توفي بحلب في ذي القعدة سنة أربع وخمسين .

وكان كريماً حليماً ، وأوصى بحلب . لأخيه عطية بن صالح فملكها . ونزل به قوم من التركمان مع ابن خان التركماني فقوي بهم ، فأشار أصحابه بقتلهم ، فأمر أهل البلد بذلك فقتلوا منهم جماعة ونجا الباقون . فقصدوا محموداً بحرَّان واجتمعوا معه على حصار حلب فحصرها وملكها في رمضان سنة أربع وخمسين ، وقصد عمه عطية الرقة ، فملكها ولم يزل بها حتى أخذها منه شرف الدولة مسلم بن قريش . سنة ثلاث وستين . وسار عطية إلى بلد الروم فمات بالقسطنطينية سنة خمس وستين . . وأرسل محمود التركمان ، مع أميرهم ابن خان إلى أرتاح ، فحصرها ، وأخذها من الروم سنة ستين ، وسار محمود إلى طرابلس ، فحصرها وأخذ من أهلها مالاً وعاد . وأرسله محمود في رسالة إِلى السلطان ألب أرسلان ، ومات محمود في حلب سنة ثمان وستين

في ذي الحجة ، ووصى بها بعده لابنه مشيب . فلم ينفذ أصحابه وصيته لصغره ، وسلّموا البلد إلى ولده الأكبر واسمه نصر ، وجدّه لأمه الملك العزيز ابن ملك جلال الدولة بن بويه ، وتزوجها عند دخولهم مصر لما ملك طغرلبك العراق ، وكان نصر يدمن شرب الخمر. فحمله السكر على أن خرج إلى التركمان الذين ملكوا أباه البلد ، وهم بالحاضر يوم الفطر ، فلقوه وقبَّلوا الأرض بين يديه . فسبهم وأراد قتلهم ، فرماه أسدهم بنشابة فقتله .

وملك أخوه سابق – وهو الذي كان أبوه أوصى له بحلب – فلمَّا صعد القلعة استدعى احمد شاه مقدم التركمان ، وخلع عليه وأحسن إليه ، وبقي فيها إلى سنة اثنتين وسبعين . فقصده تتش بن ألب أرسلان ، فحصره بحلب أربعة أشهر ونصفاً ، ثم رحل عنه ، ونازله شرف الدولة فأخذ البلد منه ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى . فهذه جميع أخبار بني مرداس أتيت بها متتابعة لئلا تجهل إذا تفرقت .

ذكر قتل جماعة من خفاجة

لما فتح الملك فخر الدولة دير العاقول أتاه سلطان ، وعلوان ، ورجب أولاد ثمال الخفاجي ، ومعهم أعيان عشائرهم وضمنوا حماية سقي الفرات ، ودفع عقيل عنها . وساروا معه إلى بغداد ، فأكرمهم وخلع عليهم ، وأمرهم بالمسير مع ذي السعادتين الحسن بن منصور إلى الأنبار ، فساروا . فلمَّا صاروا بنواحي الأنبار أفسدوا وعاثوا فقَبض ذو السعادتين على نفر منهم ، ثم أطلقهم واستحلفهم على الطاعة والكف عن الأذى . فأشار كاتب نصراني من أهل دقوقا على سلطان بن ثمال

بالقبض على ذي السعادتين ، وأن يظهر أن عقيلا قد أغاروا . فإذا خرج عسكر ذي السعادتين انفرد به ، فأخذه ، فوصل إلى ذي السعادتين الخبر . ثم إن سلطانا أرسل إليه يقول له : إن عقيلاً قد قاربوا الأنبار ، ويطلب منه إنفاذ العسكر . فقال ذو السعادتين : " أنا أركب وآخذ العساكر " . ثم دافعه إلى أن فات رقت السير ، فانتقض على سلطان ما دبره ، فأرسل يقول : " قد أخذت جماعة من عقيل ، ثم ان ذا السعادتين صنع طعاماً كثيراً وحضر عنده سلطان وكاتبه النصراني ، وجماعة من أعيان خفاجة " . فأمر أصحابه بقتل كثير منهم وتبض على سلطان ، وكاتبه وجماعة ونهب بيوتهم وما فيها . وحبس سلطاناً ومن

معه ببغداد حتى شفع فيهم أبو الحسن بن مزيد ، وبذل مالاً عنهم فأطلقوا . وذكر ابن نباتة وغيره هذه الحادثة .

ذكر القدح في نسب العلويين المصريين

في هذه السنة كتب ببغداد محضر يتضمن القدح في نسب العلويين خلفاء مصر وكتب فيه المرتضى ، وأخوه الرضيّ ، وابن البطحاوي العلوي ، وابن الأزرق الموسوي ، والزكي أبو يعلى عمر بن محمد ، ومن القضاة والعلماء ابن الأكفاني ، وابن الخرزي (1) ، وأبو العباس الأبيوردي ، وأبو حامد الاسفرايني ، والكشفلي (2) ، والقدوري ، والصيمري ، وأبو عبدالله بن البيضاوي ، وأبو الفضل النسوى ، وأبو عبدالله بن النعمان فقيه الشيعة ، وغيرهم . وقد ذكرنا الاختلاف فيهم عند ابتداء دولتهم سنة ست وتسعين ومائتين .

ذكر أخذ بني خفاجة الحجاج

في هذه السنة سارت خفاجة إِلى واقصة ، ونزحوا ماء البرمكي ، والريان وألقوا فيهما الحنظل . ووصل الحجاج من مكة إلى العقبة ، فلقيهم خفاجة ومنعوهم الماء ثم قاتلوهم . فلم يكن فيهم امتناع ، فاكثروا القتل وأخذوا الأموال ولم يسلم من الحاج إلا اليسير . فبلغ الخبر فخر الملك الوزير ببغداد . فسير العساكر في أثرهم ، وكتب إلى أبي الحسن علي بن مزيد ، يأمره بطلب العرب والأخذ منهم بثار الحاج والانتقام ، فساو خلفهم فلحقهم وقد قاربوا البصرة ، فأوقع بهم فقتل منهم وأسر جمعاً كثيراً وأخذ من أموال الحاج ما رآه – وكان الباقي قد أخذه العرب وتفرقوا . وأرسل الأسرى ، وما استردهُ من أمتعة الحاج إلى الوزير ، فَحسُنَ موقعه منه .

في هذه السنة توفي أبو الحسن بن اللبان الفرضي في ربيع الأول (3) . وتوفي في

(1) في النجوم الزاهرة " والقاضي أبو القاسم الجزرى "

(2) هو بفتح الكاف وضم الفاء بينهما شين معجمة ساكنة وآخره لام - نسبة إلى كشفل من قرى طبرستان وهو الفقيه أبو محمد .

(3) قدم بغداد وحدت بها وروى سنن أبى داود السجستانى عن أبى بكر بن داسة وسمعها منه القاضى أبو =

شهر رمضان عثمان بن عيسى أبو عمرو الباقلاني العابد(1) ، وكان مجاب الدعوة رحمة الله عليه .

= الطيب الطبري . ووقع في الأصول " توفي أبو الحسن " وفي تاريخ بغداد . وشذرات الذهب . والنجوم الزاهرة " أبو الحسين " بزيادة ياء مثناة من تحت بعد السين المهملة .

(1) كان أحد الزهاد الكبار المشهورين ببغداد كانت له نخلات يأكل منها ويعمل بيده فى البوارى وكان لا يخرج من مسجد. إلا من يوم الجمعة إلى يوم الجمعة لاجل صلاة الجمعة ثم يعود إلى مسجده توفى فى رجب منها عن ستة وثمانين سنة.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعمائة

ذكر قتل قابوس

في هذه السنة قتل شمس المعالي قابوس بن وشكمير ، وكان سبب قتله أنه كان مع كثرة فضائله ، ومناقبه عظيم السياسة ، شديد الأخذ ، قليل العفو ، يقتل على الذنب اليسير . فَضُجَر أصحابه منه ، واستطالوا أيامه واتفقوا على خلعه والقبض عليه ، وكان حينئذ غائباً عن جرجان فخفي عليه الأمر ، فلم يشعر ذات ليلة إلا وقد أحاط العسكر بباب القلعة التي كان بها ، وانتهبوا أمواله ودوابه ، وأرادوا استنزاله من الحصن . فقاتلهم هو ومن معه من خواصه وأصحابه ، فعادوا ولم يظفروا به . ودخلوا جرجان ، واستولوا عليها وعصوا عليه بها ، وبعثوا إلى ابنه منوجهر– وهو بطبرستان – يعرفونه الحال ، ويستدعونه ليوتره أمرهم . فأسرع السير نحوهم خوفاً من خروج الأمر عنه ، فالتقوا واتفقوا على طاعته إن هو خلع أباه . فأجابهم إلى ذلك على كره .

وكان أبوه شمس المعالي قد سار نحو بسطام عند حدوث هذه الفتنة ، لينظر فيما تسفر عنه ، فأخذوا منوجهر معهم عازمين على قصد والده ، وإزعاجه من مكانه فسار معهم مضطراً . فلمَّا وصل إلى أبيه أذن له وحده دون غيره ، فدخل عليه وعنده جمع من أصحابه المحامين عنه . فلمَّا دخل عليه تشاكيا ما هما فيه وعرض عليه منوجهر أن يكون بين يديه في قتال أولئك القوم ، ودفعهم . وإن ذهبت نفسه . فرأى شمس المعالي ضد ذلك ، وسَفلَ عليه ، حيث صار الملك إلى ولده ، فسلم إليه خاتم الملك ووصاه بما يفعله . واتفقا على أن ينتقل هو الى قلعة جناشك (1) يتفرغ للعبادة إلى أن يأتيه اليقين ،

وينفرد منوجهر بتدبير الملك . وسار إلى القلعة المذكورة مع من اختاره لخدمته ، وسار منوجهر إلى جرجان وتولى الملك وضبطه ، ودارى أولئك الأجناد وهم نافرون خائفون من شمس المعالي ما دام حياً ، فما زالوا يحتالون ويجيلون الرأي حتى دخلوا إلى

منوجهر ، وخوفوه من أبيه ، مثل ما جرى لهلال بن بدر مع أبيه وقالوا له : " مهما كان والدك في الحياة لا نأمن نحن ولا أنت " ، واستأذنوه في قتله . فلم يرد عليهم جواباً . فمضوا إليه إلى الدار التي هو فيها ، وقد دخل إلى الطهارة متخففاً . فاخذوا ما عنده من كسوة ؟ وكان الزمان شتاء . وكان يستغيث أعطوني ولوجل دابة ، فلم يفعلوا فمات من شدة البرد . وجلس ولده للعزاء ، ولقب القادر بالله منوجهر فلك المعالي ، ثم إن منوجهر راسل يمين الدولة ، ودخل في طاعته وخطب له على منابر بلاده ، وخطب إليه أن يزوجه بعض بناته ففعل . فقوى جنانه وشرع في التدبير على أولئك الذين قتلوا أباه ، فأبادهم بالقتل والتشريد . وكان قابوس غزير الأدب ، وافر العلم له رسائل وشعر حسن (1) ؛ وكان عالماً بالنجوم وغيرها من العلوم ، فمن شعره :

- قلْ للذي بصروف الدهر عيَّرنا هل عاند الدهرُ إلّا من له خطُر
- أما ترى البحرَ يطفو فوقهُ جِيَفٌ وتستـقر بأقـصى قعرِهِ الدررُ
- فان تكن نشبَتْ أيدي الخطوب بنا ومسنا من توالي صرفها ضررُ
- ففي السماء نجـوم غير ذي عدد وليسَ يكسفُ إلا الشمسُ والقمرُ.

في هذه السنة توفي أيلك الخان ، وهو يتجهَّزُ للعود إلى خراسان ليأخذ بثأره من يمين الدولة . وكاتب قدرخان ، وطغان خان ليساعداه على ذلك . فلمَّا توفي ولي بعده أخوه طغان ، فراسل يمين الدولة وصالحه . وقال له : " المصلحة للإسلام والمسلمين أن تشتغل أنت بغزو الهند وأشتغل أنا بغزو الترك وأن يترك بعضنا بعضاً " . فوافق ذلك هواه ، فأجابه إليه . وزال الخلاف واشتغلا بغزو الكفار . وكان أيلك الخان خيراً ، عادلاً ، حسن السيرة ، محباً للدين وأهله ، معظماً للعلم وأهله ، محسناً إليهم .

(ا) هو الأمير شمس المعالى أبو الحسن قابوس بن أبى طاهر وشمكير بن زيار بن وردان شاه الجيلى أمير جرجان وبلاد الجيل وطبرستان .

ذكر وفاة بهاء الدولة(1) وملك سلطان الدولة

في هذه السنة خامس جُمادى الآخرة توفي بهاء الدولة أبو نصر بن عضد الدولة بن بويه – وهو الملك حينئذ بالعراق – وكان مرضه تتابع الصرع مثل مرض أبيه . وكان موته بأرجان ، وحُمِلَ إلى مشهد أمير المؤمنين علف عليه السلام فدُفِنَ عند أبيه عضد الدولة . وكان عمره اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر ونصفاً . وملكه أربعاً وعشرين سنة . ولما توفي ولي المُلك بعده ابنه سلطان الدولة أبو شجاع ، وسار من أرجان إِلى شيراز ؛ وولّى أخاه جلال الدولة أبا طاهر بن بهاء الدولة البصرة ، وأخاه أبا الفوارس كرمان .

ذكر ولاية سُليمان الأندلس الدولة الثانية

في هذه السنة ملك سليمان بن الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، ولقبَ المستعين . وهذه غير ولايته منتصف شوال على ما ذكرناه سنة أربعمائة . وبايعه الناس ، وخرج أهل قرطبة إليه يسلمون عليه ، فأنشد متمثلاً :

إذا ما رأوني طالـعاً من ثنيـة يقولون :مَنْ هذا وقد عرفوني

يقولون لي أهلاً وسهلاً ومرحبا ولو ظفـروا بـي ساعةً قتلوني

وكان سُليمان أديباً شاعراً بليناً ، وأرِيقَ في أيامه دماء كثيرة ، لا تحذ . وقد تقدَّم ذكرُ ذلك سنة أربعمائة . وكان البربر هم الحاكمون في دولته لا يقدرُ على خلافهم لأنهم كانوا عامة جنده ، وهم الذين قاموا معه حتى ملكوه . وقد تقدم ذكر ذلك .

في هذه السنة خلع سلطان الدولة على أبي الحسن علي بن مزيد الأسدي – وهو أول من تقدَّم من أهل بيته .

(1) بهاء الدولة هذا هو الذي قبض على الخليفة الطائع وخلعه من الخلافة وولى القادر الخلافة عوضه –وقد مر ذكر ذلك –. وكان ظالماً غشوماً سفاكاً للدماء حتى ان خواصه كانوا يهربون من قربه : وكان يحب المصادرات فجمع من الأموال ما لم يجمعه أحد قبله من بني بويه إلا ان كان عمه فخر الدولة وقد تقدم ذكره وكان بخيلًا جداً مات يوم الاثنين خامس جمادى الآخرة.

وفيها قلد الرضي الموسوي صاحب الديوان المشهور ، نقابة العلويين ببغداد ، وخلع عليه سواد ، وهو أول طالبي خلع عليه السواد . وفيها توفي أبو بكر الخوارزمي ، واسمه محمد بن موسى الفقيه الحنفي (ا) ، وأبو الحرث محمد بن محمد بن عمر العلوي نقيب الكوفة(2) . وكان يسير بالحاج عشر سنين ، وأبو عبدالله الحسن بن حامد بن علي بن مروان الفقيه الحنبلي ، وله تصانيف في الفقه (3) . والقاضي ابو بكر محمد بن الطيب المتكلم الأشعري ، وكان مالكي المذهب (4) . رثاه بعضهم فقال :

انظرْ إلى جبل تمشي الرجالُ به وانظر إلى القبرِ ما يحوي من الصلفِ

وانظرْ الى صارم الاسلام منغمداً وانظرْ إلى درةِ الإسـلام في الصدف

(ا) كان شيخ الحنفية وفقيههم في زمنه . أخذ العلم عن ابى بكر احمد بن على الرازى . وسمع من أبى بكر الشافعى وغيره . وإليه انتهت رياسة الحنفية ببغداد وكان معظماً عند الملوك . قال القاضى أبو عبد الله الصيمرى بعد ما اثنى عليه : وما شاهد الناس مثله فى حسن الفتوى والإصابة فيها . وحسن التدريس . وقد دعى إلى ولاية الحكم مراراً فامتنع تورعاً . توفى ليلة الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى ودفن بداره من درب عبده .

(2) كان شجاعاً جواداً ديناً رئيساً . حج بالناس عشر سنين -كما قال المصنف- وكان ينفق عليهم من ماله ويحمل المنقطعين توفى فى جمادى الآخرة.

(3) كان إمام الحنبلية فى زمانه ومدرسهم ومفتيهم وكان قانعاً يأكل من نسخ الكتب ومقدماً معظماً عند الدولة وغيرهم وله مصنفات عظيمة فى علوم مختلفة منها كتاب الجامع فى المذهب نحو من أربعمائة جزء وشرح الخرقى . وشرح أصول الدين . وأصول الفقه . وكان ناظراً أبا حامد الاسفرانينى فى وجوب الصيام ليلة الغمام فى دار القادر بالله بحيث سمع الخليفة الكلام فخرجت الجائزة السنية له من أمير المؤمنين فردها مع حاجته إلى بعضها فضلاً عن جميعها تعففاً وتنزها.

(4) هو الملقب بسيف السنة ولسان الأمة ورأس المتكلمين صاحب المصنفات العظيمة وهو من أكثر الناس تصنيفاً فى علم الكلام. يقال :انه كان لا ينام كل ليلة حتى يكتب عشرين ورقة من مدة طويلة من عمره فانتشرت عنه تصانيف كثيرة: منها التبصرة. ودقائق الحقائق . والتمهيَد فى أصول الفقه . وشرح الإبانة . وغير ذلك من المجاميع الكبار والصغار، قال الحافظ ابن كثير: ومن أحسنها كتابه فى الرد على الباطنية الذى سماه - كشف الأسرار وهتك الأستار- وقد اختلفوا فى مذهبه فى الفروع فقيل : شافعى . وقيل : مالكى حكى ذلك عنه أبو ذر الهروى وقيل : كان يكتب على الفتاوى كتبه محمد بن الطيب الحنبلى وهذا غريب جداً . وقد كان فى غاية الذكاء والفطنة اهـ وله حكايات كثيرة ووقائع حميدة يقهر الخصم فيها ويجيب على البديهة أجوبة حسنة وكان ورعاً لم يحفظ عنه زلة

ولا نقيصة، وكان باطنه معموراً بالعبادة والديانة والصيانة قال ابن تيمية في حقه :هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري ليس فيهم مثله لا قبله ولا بعده ، وكان على مذهب السلف الصالح ، توفي يوم السبت لسبع يقين من ذي القعدة ودفن بداره ثم نقل الى مقبرة باب حرب .

وفيها قتِلَ أبو الوليد بن عبدالله بن محمد المعروف بابن الفرضي الأندلسي بقرطبة ، قتله البربر(1) .

(1) وكان فقيهاً عالماً في جميع فنون العلم ولي قضاء بلنسية وكان حسن البلاغة والخط وكان حافظاً لحديث متقناً لعلومه أديباً بارعاً لم ير مثله في سعة الرواية بقرطبة . قتل يوم فتح قرطبة في داره وواروه من غير غسل ولا كفن ولا صلاة . ومن مؤلفاته تاريخ الأندلس . والمؤتلف والمختلف : ومشتبه النسبة .

عاش اثنتين وخمسين سنة .

ثم دخلت سنة أربع وأربعمائة

ذكر فتح يمين الدولة ناردين

في هذه السنة ، سار يمين الدولة إلى الهند في جمع عظيم ، وحشد كبير ، وقصد واسطة البلاد من الهند . فسار شهرين حتى قارب مقصده ، ورتَّبَ أصحابه وعساكره . فسمع عظيم الهند به فجمع من عنده من قواده ، وأصحابه ، وبرز إلى جبل هناك صب المرتقى ضيق المسلك ، فاحتمى به وطاول المسلمين . وكتب إلى الهنود يستدعيهم من كل ناحية . فاجتمع عليه منهم كل من يحملُ سلاحاً . فلمَّا تكاملت عدَّتُهُ نزل من الجبل ، وتصاف هو والمسلمون ، واشتد القتال ، وعظم الأمر ، ثم إن الله تعالى منح المسلمين أكتافهم فهزموهم ، وأكثروا القتل فيهم وغنموا ما معهم من مال ، وفِيَل ، وسلاح ، وغير ذلك . ووجد في بيت بد عظيم (ا) حجراً منقوراً دلَّتْ كتابته على أنه مبنيٌّ منذ أربعين ألف سنة(2) فعجِبَ الناسُ لقلَةِ عقولهم . فلمَّا فرغ من غزوته عاد إلى غزنة ، وأرسل إلى القادر بالله يطلب منه منشوراً وعهدا بخراسان ، وما بيده من الممالك ، فكتب له ذلك ولقَّبَ نظام الدين .

ذكر ما فعله خفاجة دفعة أخرى

في هذه السنة ، جاء سلطان بن ثمال واستشفع بابي الحسن بن مزيد إلى

فخر الملك ، ليرضى عنه ، فأجابه إلى ذلك . فأخذ عليه العهود بلزوم ما يحمد أمره . فلمَّا خرج وصلَت الأخبار بأنهم نهبوا سواد الكوفة ، وقتلوا طائفة من الجند ، وأتى أهل الكوفة

مستغيثين . فسيَّر فخر الملك إليهم عسكراً ، وكتب إلى ابن مزيد وغيره

(1) البد بالضم والتشديد اسم الصنم معرب بت . وفي بعض النسخ " في بيت صنم " .

(2) في تاريخ العتبي كذلك " منذ أربعين الف سنة " .

بمحاربتهم . فسار إليهم ، وأوقع بهم بنهر الرمان . وأسر محمد بن ثمال وجماعة معه ونجا سلطان ، وأدخل الأسرى إلى بغداد مشهرين وحبسوا . وهبَّ علي المنهزمين من بني خفاجة ريحٌ شديدة حارة ، فقتلَت منهم نحو خمسمائة رجل .، وأفلت منهم جماعة ممن كانوا أسروا من الحجاج . وكانوا يرعون إبلهم وغنمهم فعادوا إلى بغداد ، فوجد ، بعضهم نساءهم قد تزوجْنَ ، وولدنَ ، واقتُسِمَتْ تركاتهم .

ذكر استيلاء طاهر بن هلال على شهرزور

2 قد ذكرنا حال شهرزور ، وأن بدر بن حسنويه سئمها إلى عميد الجيوش ، فجعل فيها نوابه . فلمَّا كان الآن سار طاهر بن هلال بن بدر إلى شهرزور ، وقاتل من بها من عسكر فخر الملك ، وأخذها منهم في رجب . فلمَّا سَمِعَ الوزير الخبرَ أرسل إلى طاهر يعاتبه ويأمره بإطلاق من أسر من أصحابه ، ففعل . ولم تزل شهرزور بيد طاهر إلى أن قتله أبو الشوك ، وأخذها منه وجعلها لأخيه مهلهل .

ذكر عدة حوادث

في هذه السنة سار أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي إلى أبي الشوك على عزم محاربته ، فاصطلحا من غير حرب ، وتزوَّج ابنه أبو الأغردبيس بن علي بأخت أبي الشوك .

وفيها توفي القاضي أبو الحسن علي بن سعيد الإصطخري (ا) –وهو شيخ من شيوخ المعتزلة ومشهور بهم –وكان عمره قد زاد على ثمانين سنة ، وله تصانيف في الردّ على الباطنية(4) .

(1) صنف للقادر الرد على الباطنية وأجرى عليه القادر جراية سنية وحبسها من بعده على بنيه وكان يسكن درب رباح توفى فى شوال وقد جاوز الثمانين.

ثم دخلت سنة خمس وأربعمائة

ذكر غزوة تانيشر(1)

قد ذكر ليمين الدولة أن بناحية تانيشر فيلة من جنس فيلة الصيلمان الموصوفة في الحرب وأن صاحبها غال في الكفر والطغيان ، والعناد للمسلمين . فعزم على غزوه في عُقْرِ داره ، وأن يذيقه شربة من كأس قتاله . فسار في الجنود والعساكر والمتطوعة ، فلقي في طريقه أودية بعيدة القعر وعرة المسالك ، وقفاراً فسيحة الأقطار والأطراف بعيدة الأكناف ، والماء بها قليل . فلقوا شدة وقاسوا مشقةً إلى أن قطعوها . فلمَّا قابوا مقصدهم لقوا نهراً شديد الجرية صعب المخاضة، وقد وقف صاحب تلك البلاد على طرفه يمنع من عبوره ، ومعه عساكره ،وفيلته التي كان يدلُّ بها، فأمر يمين الدولة شجعان عسكره بعبور النهر، واشغال الكافر بالقتال ليتمكنَ باقي العسكر من العبور ففعلوا ذلك . وقاتلوا الهنود وشغلوهم عن حفظ النهر حتى عبر سائر العسكر في المخاضات ، وقاتلوهم من جميع جهاتهم إلى آخر النهار. فانهزم الهند وظفر المسلمون ، وغنموا ما معهم من أموال ، وفيلة ، وعادوا إلى غزنة موفورين ظافرين .

ذكر قتل بدر بن حسنويه وإطلاق ابنه هلال وقتله

في هذه السنة، قتل بدر بن حسنويه أمير الجبل . وكان سبب قتله أنه سار إلى الحسين بن مسعود الكردي ليملك عليه بلاده فحصره بحصن كوسِحد ، فضجر أصحاب بدر منه لهجوم الشتاء، فعزموا على قتله ، فأتاه بعض خواصه وعرفهُ ذلك فقال : " فمن هم الكلاب حتى يفعلوا ذلك " . وأبعدَهم ، فعاد إليه فلم يأذن له فقال من وراء الخركاه : الذي أعلمتُكَ قد قوي

العزم عليه ، فلم يلتفت اليه وخرج فجلس على تلٍ ، فثاروا به فقتله طائفة منهم تسمى الجورقان . ونهبوا عسكره وتركوه وساروا. فنزل الحسين بن

مسعود فرآه ملقى على الأرض فأمر بتجهيزه ، وحمله إلى مشهد علىّ عليه السلام ، ليُدفَنَ فيه ففعل ذلك . وكان عادلاً ، كثير الصدقة والمعروف ، كبير النفس ، عظيم الهمة .

ولما قُتل هرب الجورقان إلى شمس الدولة أبي طاهر بن فخر الدولة بن بويه ، فدخلوا في طاعته . وكان طاهر بن هلال بن بدر هارباً من جدّه بنواحي شهر زور. فلمَّا عرف بقتله بادر يطلب ملكه ، فوقع بينه وبين شمعي ، الدولة حرب ، فأسر طاهر وحبس ، وأخذ ما كان قد جمعه بعد أن ملك نائباً عن أبيه هلال ، وكان عظيماً وحمله إلى همذان ، وسارا للرية، والشاذنجان إلى أبي الشوك فدخلوا في طاعته . وحين قُتِل كان ابنه هلاًل محبوساً عند الملك سلطان الدولة، كما ذكرنا . فلمَّا قتِل بدر استولى شمس الدولة بن فخبر الدولة بن بويه على بعض بلاده . فلمَّا علم سلطان الدولة بذلك أطلق هلالاً وجهزه وسيره – ومعه العساكر– ليستعيد ما ملكه شمس الدولة من بلاده . فسار إلى شمس الدولة ، فالتقيا في ذي القعدة . واقتتل العسكران فانهزم أصحاب هلال وأسِرَ هو، فقُتِلَ أيضاً، وعادت العساكر التي كانت معه إلى بغداد على أسوأ حال . وكان ممن أسر معه أبو المظفر أنوشتكين الأعراجي . وكان في مملكة بدر سابور خواست ، والدينور، وبروجرد ، ونهاوند ، وأسدأباذ ، وقطعة من أعمال الأهواز وما بين ذلك من القلاع والولايات .

ذكر الحرب بين علي بن مزيد وبين بني دبيس

في هذه السنة في المحرم كانت الحرب بين أبي الحسن علي بن مزيد الأسدي ، وبين مضر، ونبهان ، وحسان وطراد

بني دبيس . وسببها أنهم كانوا قد قتلوا أبا الغنائم بن مزيد أخا أبي الحسن في حرب بينهم – وقد تقدم ذكرها –وحالت الأيام بينه وبين الأخذ بثأره . فلمَّا كان الآن تجهَّزَ لقصدهم وجمع العرب ، والشاذنجان ، والجوانية ، وغيرهما من الأكراد وسار إِليهم . فلمَّا قَرُبَ منهم خرجت زوجته ابنة دبيس ، وقصدت أخاها . مضر بن دبيس ليلاً، وقالت له : " قد أتاكم ابن مزيد فيما لا قبل لكم به وهو يقنع منكم بإبعاد نبهان قاتل أخيه " . فأبعدوه ، وقد تفرقَتْ هذه العساكر، فأجابها أخوها مضر إلى ذلك ، وامتنع أخوه حسان . فلمَّا سمع ابن مزيد بما فعلته زوجته –أنكره ، وأراد طلاقها فقالت له : "خفْتُ أن أكون فى هذه الحرب بين فقد أخ حميم أو زوج كريم ففعلت ما فعلت رجاء الصلاح " . فزال ما عنده منها . وتقدم إليهم وتقدموا إلية بالحلل والبيوت ، فالتقوا واقتتلوا واشتد القتال لما بين الفريقين من الدخول . فظفر بن مزيد بهم وهزمهم

وقتل حسان ، ونبهان ابني دبيس ، واستولى على البيوت والأموال ، ولحق من سلم من الهزيمة بالحويزة . ولما ظفر بهم رأى عندهم مكاتبات فخر الملك يأمرهم بالجدّ في أمره ، وبعدهم النصرة . فعاتبه على ذلك وحصل بينهما نفرة، ودعت فخر الملك الضرورة تقليد ابن مزيد الجزيرة الدبيسية، واستثنى مواضع منها : الطيب ، وقرقوب ، وغيرهما وبقي أبو الحسن هناك إلى جُمادى الأولى ، ثم إن مضر بن دبيس جمع جمعاً وكبس أبا الحسن ليلاً فهرب في نفر يسير واستولى مضر على حلله وأمواله ، وكل ماله ، ولحق أبو الحسن ببلد النيل منهزماً .

ذكر ملك شمس الدولة الري وعوده عنها

لما ملك شمس الدولة بن فخر الدولة ولاية بدر بن حسنويه وأخذ ما في قلاعه من الأموال عَظم شأنه واتسع ملكه . فسار إلى الرقي وبها أخوه مجد الدولة، فرحل عن الري ومعه والدته إلى دنباوند ، وخرجت عساكر الريّ الى شمس الدولة مذعنة بالطاعة ، ودخل الرَّي وملكها . وخرج منها يطلب أخاه ووالدته ، فشغب الجند عليه وزاد خطبهم وطالبوه مطالبات اتسع الخرق بها . فعاد إلى همذان وأرسل إلى أخيه ووالدته يأمرهما بالعود إلى الرَّي ، فعادا .

ذكر عدة حوادث

في هذه السّنة في شعبان توفي أبو الحسن أحمد بن علي البتي (1) الكاتب الشاعر، ومن شعره في تكة :

لِمَ لا أتيه ومضجعي بين الروادفِ والخصورِ

وإذا نسجـت فإنني بين الترائِـبِ والنحورِ

ولقد نشأت صغيرة بأكـف ربّاتِ الخدورِ

وله نوادر كثيرة، منها أنه شرب فقاعاً في دار فخر الملك فلم يستطبه ، فجلس مفكراً فقال له الفقاعي : في أي شيء تفكر؟ فقال : في دقة صنعتك ، كيف أمكنك الخراء في هذه الكيزان الضيقة كلها.

وفي رمضان منها قتل القاضي أبو القاسم يوسف بن أحمد بن كج الفقيه من أئمة

(1) نسبة الى بت – بالفتح ثم التشديد – قرية كالمدينة من أعمال بغداد.

أصحاب الشافعي ، وكان قاضي الدينور قتله طائفة من عامتها خوفاً منه (ا)؛ وتوفي أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن نباتة السعدي الشاعر(2)، والقاضي أبو محمد بن الأكفاني قاضي بغداد(3) وولي بعده قضاء القضاة أبو الحسن بن أبي الشوارب البصري ، وتوفي أحمد عبد السلام بن الحسن (4) البصري الأديب ، وأبو القاسم هبة الله بن عيسى كاتب مهذب الدولة بالبطيحة، وهو من الكتاب المفلقين ، ومكاتباته مشهورة، وكان ممدحاً وممن مدحه ابن الحجاج ، وتوفي أيضاً عبد الله (5) بن محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس ابو سعيد الإِدريسي الإستراباذي الحافظ نزيل سمرقند ، وهو مصنّف تاريخ سمرقند، وتوفي أيضاً الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري صاحب التصانيف الحسنة المشهورة(6)، وأبو الحسن بن عياض ، وكان يلقَّبُ الناصر وكان يتولى الأهواز، وقام ولده بنكير مقامه ، وأبو علي الحسين (7) بن الحسين بن حمكان الهمذاني الفقيه الشافعي وكان إماماً عالماً .

(1) انتهت اليه الرياسة ببلده فى المذهب ورحل الناس اليه رغبة فى علمه وجوده وكان يضرب به المثل فى حفظ المذهب. وله فى المذهب وجوه غريبة. ولى القضاء بالدينور لبدر بن حسنويه الذى قتل فى هذه السنة وذكرت ترجمته مفصلة قريباً، فلمَّا تغيرت البلاد بعد قتله وثب على الكجى جماعة من العيارين فقتلوه ليلة سبع وعشرين من رمضان.

(2) كان شاعراً مجيداً جمع بين حسن السبك وجولة المعنى وكان يعاب بكبر فيه طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء. وله في سيف الدولة غرر القصائد ونخب المدائح.

(3) واسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله الحنفي الاسدى قاضي قضاة بغداد. كان عالماً ديناً عفيفاً نزهاً ولد سنة ست عشرة وثلاثمائة. قال ابو اسحاق الطبرى: من قال: ان احداً انفق على العلم مائة الف الف دينار غير أبي محمد بن الاكفاني فقد كذب.

(4) في النجوم الزاهرة "عبد السلام بن الحسين" بزيادة ياء مثناة من تحت. وكان رجلا فاضلاً عارفاً بالقراءات سمحاً جواداً.

(5) في الأصول "عبد الله بن محمد". والنجوم الزاهرة. وشذرات الذهب والأنساب للسمعاني "عبد الرحمن بن محمد". وكان اماماً جليلاً ثقة عرض تاريخه على الدارقطني فاستحسنه.

(6) ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة واعتنى به أبوه فسمعه في صغره ثم هو بنفسه وكتب عن نحو ألفي شيخ. وبرع في معرفة الحديث وفنونه وصنف التصانيف الكثيرة المفيدة منها المستدرك طبع في الهند. وانتهت اليه رياسة الفن بالدنيا وهو ثقة حجة أحد أركان الاسلام. وسيد المحدثين وإمامهم في زمنه والمرجوع اليه في هذا الشأن إلا أن فيه بعض تشيع. توفى فجأة بعد خروجه من الحمام في شهر صفر.

(7) كذا في الأصول بزيادة ياء مثناة من تحت بعد السين المهملة وفي البداية والنهاية. وطبقات الشافعية . وشذرات الذهب " ابو على الحسن " بدون ياء وحمكان بحاء مهملة بعدها ميم مفتوحتان وكاف .

ثم دخلت سنة ست وأربعمائة

ذكر الفتنة بين باديس وعمه حمَّاد

في هذه السنة ظهر الاختلاف بين الأمير باديس صاحب أفريقية، وعمّه حمّاد حتى آل الأمر بينهما إلى الحرب التي لا بقيا بعدها . وسبب ذلك أن باديس أبلغ عن عمه حماد قوارص ، وأمور أنكرها، فاغضى عليها حتى كثر ذلك عليه . وكان لباديس ولد اسمه المنصور أراد أن يقدمه ، ويجعله وليَّ عهده ، فأرسل إلى عمه حماد يقول له : بان يسلم بعض ما بيده من الأعمال التي أقطعه إِلى نائب ابنه المنصور، وهي مدينة تيجس ، وقصر الأفريقي ، وقسنطينة . وسيَّر إلى تسليم ذلك هاشم بن جعفر– وهو من كبار قوادهم – وسيَّر معه عمه إبراهيم ليمنع أخاه حماداً من أمر إن أراده؛ فسارا إلى أن قاربا حماداً ، ففارق إبراهيم هاشماً وتقدم إلى أخيه حماد . فلمَّا وصل إليه حسَّنَ له الخلاف على باديس ، ووافقه على ذلك وخلعا الطاعة، وأظهرا العصيان وجمعا الجموع الكثيرة، فكانوا ثلاثين ألف مقاتل ، فبلغ ذلك باديس فجمع عساكره وسار إليهما . ورحل حماد، وأخوه إبراهيم الى هاشم بن جعفر والعسكر الذين معه – وهو بقلعة شقنبارية – فكان بينهم حرب انهزم ابن جعفر ولجأ إلى باجة، وغنم حماد ماله وعدده فرحل باديس إلى مكان يسَّمى قبر الشهيد، فأتاه جمع كثير من عسكر عمه حماد . ووصلت كتب حماد ، وإبراهيم إلى باديس أنهما ما فارقا الجماعة ولا خرجا عن الطاعة ، فكذبهما ما ظهر من أفعالهما من سفك الدماء، وقتل الأطفال ، وإحراق الزروع والمساكن ، وسبي النساء . ووصل حماد إلى باجة، فطلب أهلها منه الأمان

فأمّنهم واطمأنوا إلى عهده ، فدخلها يقتل وينهب ويحرق ، ويأخذ الأموال . وتقدَّم باديس إِليه بعساكره .

فلمَّا كان في صفر سنة ست وأربعمائة، ووصل حماد إلى مدينة أشير– وهي له –

وفيها نائبه واسمه خلف الحميري ، فمنعه خلف من دخولها، وصار فى طاعة باديس فسقط في يد حماد، فإنها كانت معولة لحصانتها، وقوتها. ووصل باديس إلى مدينة المسيلة ولقيه أهلها وفرحوا به . وسيَّر جيشاً إلى المدينة التي أحدثها حماد فخربوها ، إلا أنهم لم يأخذوا مال أحد، وهرب الى باديس جماعة كثيرة من جند القلعة التي له ، وفيها أخوه إبراهيم . فأخذ إبراهيم أبناءهم ، وذبحهم على صدور أمهاتهم فقيل : إنه ذبح بيده منهم ستين طفلاً . فلمَّا فرغ من الأطفال قتل الأمهات ؟ وتقارب باديس وحماد والتقوا مستهل جُمادى الأولى ، واقتتلوا أشدَّ قتال ، وأعظمه ووطنَ أصحاب باديس أنفسهم على الصبر أو الموت لما كان حماد يفعله لمن يظفر به . واختلط الناس بعضهم ببعض وكَثُر القتل ، ثم انهزم حماد وعسكره لا يلوي على شيء . وغنم عسكر باديس أثقاله وأمواله وفي جملة ما غنم منه عشرة آلاف درقة مختارة لمط . ولولا اشتغال العسكر بالنهب لأخِذَ حماد أسيراً ، وسار حتى وصل إِلى قلعته تاسع جُمادى الأولى ، وجاء إلى مدينة دكمة ، فتجنى على أهلها فوضع السيف فيهم فقتل ثلاثمائة رجل ، فخرج إليه فقيه منها . وقال له : " يا حماد اذا لقيت الجيوش انهزمت وإذا قادمتك الجموع ، فررت وإنما قدرتك وسلطانك على أسير لا قدرة له عليك " . فقتله ، وحمل جميع ما في المدينة من طعام وملح وذخيرة إلى القلعة التي له . وسار باديس خلفه وعزم علىِ المقام بناحيته وأمر بالبناء وبذل الأموال لرجاله فاشتدَّ ذلك على حماد وأنكر رجاله ، وضعُفَتْ نفسه ، وتفرَّق منه أصحابه . ثم مات ورو بن سعيد الزناتي

المتغلب على ناحية طرابلس ، واختلفت كلمة زناتة فمالت فرقة مع أخيه خزرون ، وفرقة مع ابن ورو فاشتدَّ ذلك أيضاً على حماد . وكان يطمع أن زناتة تغلب على بعض البلاد، فيضطر باديس إلى الحركة إليهم . ذكر وفاة باديس (1) وولاية ابنه المعز

لما كان يوم الثلاثاء سلخ ذي القعدة سنة ست وأربعمائة، أمر باديس بعرض

(ا) ولد باديس المذكور ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وتولى الحكم بعد موت أبيه المنصور يوم الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانين وثلاثمائة وكان باديس المذكور يتولى مملكة افريقية نيابة عن الحاكم العبيدى المدعى الخلافة بمصر.

ولقبه الحاكم نصير الدولة وكان ملكاً كبيراً حازم الرأى شديد البأس اذا هز رمحاً كثره . وسبب موت ما ذكره المصنف . وقيل : ان سبب موته أنه قصد طرابلس ولم يزل على قرب منها عازماً على قتالها وحلف أن لا يرحل عنها حتى يعيدها فدنا للزراعة لسبب اقتضى ذلك فاجتمع أهل البلد عند ذلك الى المؤدب محرز =

العساكر، فرأى ما سره . وركب آخر النهار ونزل ومعه جماعة من أصحابه ، ففارقوه إلى خيامهم . فلمَّا كان نصف الليل توفي (1). وخرج الخادم في الوقت إلى حبيب بن أبي سعيد ، وباديس بن أبي حمامة ، وأيوب بن يطوفت – وهم أكبر قواده – فأعلمهم بوفاته . وكان بين حبيب ، وباديس بن حمامة عداوة . فخرج حبيب مسرعاً إلى باديس ، وخرج باديس إليه أيضاً فالتقيا في الطريق ، فقال كل واحد منهما لصاحبه . قد عرفْت الذي بيننا والأولى أن نتفق على إصلاح هذا الخلل ، فإذا انقضى رجعنا إلى المنافسة، فاجتمعا مع أيوب وقالوا : إن العدو قريب منا وصاحبنا بعيد منا، ومتى لم نقدم رأساً نرجع إليه في أمورنا لم نأمن العدو، ونحن نعلم ميل صنهاجة إلى المعز وغيرهم إلى كرامت بن المنصور أخي باديس . فاجتمعوا على تولية كرامت ظاهراً فإذا وصلوا إلى موضع الأمن ولَوا المعز بن باديس ، وينقطع الشر. فاحضروا كرامت وبايعوه وولّوه في الحال ، وأصبحوا وليس عند أحد من العسكر خبر من ذلك ، وعزموا أن يقولوا للناس بكرة بان باديس قد شرب دواء فلمَّا اصبحوا أغلق أهل مدينة المحمدية أبوابها، وكأنما نودي فيهم بموت باديس ، فشاع الخبر، وخاف الناس خوفاً عظيماً واضطربوا لموته ، وأظهروا ولاية كرامت . فلمَّا رأى ذلك عبيد باديس ومن معهم أنكروه ، فخلا حبيب بأكابرهم وعرَّفهم الحال فسكنوا . ومضى كرامت إلى مدينة أشير ليجمع صنهاجة، وتلكاتة، وغيرهم . وأعطوهم من الخزائن مائة ألف دينار. وأما المعز فإنه كان عمره ثمان سنين وستة أشهر وأياماً تقريباً ، لأن مولده في جُمادى الأولى سنة ثمان وتسعين

وثلاثمائة . ولما وصل إليه الخبر بموت أبيه ، أجلسه من عنده للعزاء، ثم ركب . في الموكب ، وبايعه الناس . فكان يركب كل يوم ويطعمُ الناس كل يوم بين يديه . وأما العساكر فإنهم رحلوا من مدينة المحمدية إلى المعز، وجعلوا باديس في تابوت بين يدي . العسكر والطبول ، والبنود على رأسه والعساكر تتبعه ميمنة وميسرة. وكان وصولهم إلى المنصورية رابع

= وقالوا : يا ولي الله قد بلغك ما قاله باديس فادع الله ان يزيل عنا باسه فرفع يديه إلى السماء . وقال : يا رب باديس اكفنا باديس فهلك في ليلته بالذبحة والله أعلم .

(1)في وفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان 265 - 266 " ثم ركب عشية ذلك النهار في أجمل مركوب ولعب الجيش بين يديه ثم رجع الى قصره شديد السرور بما رآه من كمال حاله وقدم السماط بين يديه فأكل مع خاصته وحاضرى مائدته ثم انصرفوا عنه وقد رأوا من سروره ما لم يروه منه قط فلمَّا مضى مقدار نصف الليل من ليلة الاربعاء قضى نَحبَهُ رحمه الله تعالى فأخفوا أمره ورتبوا أخاه كرامت بن المنصور ظاهراً حتى وصلوا إلى ولده المعز فولوه وتم له الأمر.

المحرم سنة سبع وأربعمائة . ووصلوا إلى المهدية والمعز بها ثامن المحرم ، فركب المعز ووقف حبيب يعلمه بهم ، ويذكر له أسماءهم ويعرفه بقوادهم وأكابرهم . فرحل المعز من المهدية فوصل الى المنصورية منتصف المحرم . وهذا المعز أول من حمل الناس بأفريقية على مذهب مالك ، وكان الأغلب عليهم مذهب أبي حنيفة . وأما كرامت فانه لما وصل إلى مدينة أشير اجتمع عليه قبائل صنهاجة وغيرهم . فأتاه حماد في ألف وخمسمائة فارس فتقدَّم إليه كرامت بسبعة آلاف مقاتل ، فالتقوا ، واقتتلوا قتالاً شديداً ، فرجع بعض أصحاب كرامت إلى بيت المال ، فانتهبوه وهربوا . فتمت الهزيمة عليه وعلى أصحابه ، ووصل إلى مدينة أشير فأشار عليه قاضيها وأعيان أهلها بالمقام ، ومنع حماد عنها ففعل . ونازلهم حماد وطلب كرامت ليجتمع به فخرج إليه فأعطاه مالاً ، وأذِنَ له في المسير إلى المعز، وقتل حماد من أهل أشير كثيراً ؛ حيث أشاروا على كرامت بحفظ البلد ومنع حماد منه ، ووصل كرامت إلى المعز في المحرم هذه السنة فأكرمه وأحسن إليه .

وفي آخر ذي الحجة سيَّر الحاكم الخلع من مصر إلى المعز، ولقبه شرف الدولة ولم يذكر ما كان منه إلى الشيعة من القتل ، والإحراق . وسار المعز الى حماد لثمان بقين من صفر سنة ثمان وأربعمائة بالعساكر لمنعه عن البلاد . فإنه كان يحاصر باغاية ، وغيرها . فلمَّا قاربه رحل عن باغاية والتقوا آخر ربيع الأول ، فاقتتلوا فما كان إلا ساعة، حتى انهزم حمّاد وأصحابه ، ووضع أصحاب المعز فيهم السيف وغنموا مالهم من

عدد ومال وغير ذلك . فنادى المعز من أتى برأس فله اربعة دنانير فأتِيَ بشيء كثير، وأسر إبراهيم أخو حماد، ونجا حماد وقد أصابته جراحة ، وتفرَّق عنه أصحابه ورجع المعز . وورد رسول من حماد إليه يعتذر ويقر بالخطا ويسأل العفو. فأجابه المعز إن كنت على ما قلته فأرسل ولدكَ القائد الينا . واستعمل المعز على جميع العرب المجاورة لإبراهيم عمه كرامت . فعاد جواب حمّاد أنه اذا وصَلَهُ كتابُ أخيه إبراهيم بالعلامات التي بينهم ، أنه قد أخذ له عهد المعز، بعث ولده القائد أو حضر هو بنفسه ، فحضر ابراهيم وأخذ العهود على المعز وأرسل إليه يعرفه ذلك ، ويشكر المعز على إحسانه إليه .

ووصل المعز إلى قصره آخر جُمادى الأولى . ولما وصل أطلق عمه إبراهيم ،

وخلع عليه وأعطاه الأموال والدواب وجميع ما يحتاج إليه . فلمَّا سمع حماد ذلك أرسل ولده القائد إلى المعز، وكان وصوله للنصف من شعبان ، فأكرمه ، وأعطاه شيئاً كثيراً وأقطعه المسيلة، وطبنة، وغيرهما . وعاد إلى أبيه في شهر رمضان ورضي الصلح وحلف عليه واستقرت الأمور بينهما وتصاهرا، وزوج المعز أخته بعبد الله بن حماد فازدادوا اتفاقاً وأمناً. وكان بأفريقية، والغرب غلاء بسبب الجراد واختلاف الملوك. ولما استقر الصلح والاتفاق سيَّر المعز الجيوش الى القبائل من البربر، وغيرهم . فإن الحروب بينهم كانت بسبب الاختلاف كثيرة والدماء مسفوكة . فلمَّا رأوا عساكر السلطان رجعوا إلى السكون وترك الحرب ومن أبى قُوتل ، فقُتِلَ المفسدون وأصلح ما بين القبائل . ووصل من جزيرة الأندلس زاوي بن زيري بن مناد عم أبي المعز وأَهله ، وولده وحشمه . وكان قد أقام بالأندلس مدة طويلة . وقد ذكرنا سبب دخوله الأندلس، وملك بالأندلس غرناطة وقاسى حروباً كثيرة ووصل معه من الأموال ، والعدد والجواهر شيء كثير لا يُحدُ فأكرمهم المعز وحمل لهم شيئاً عظيماً وإقامات زائدة وأقاموا عنده . كان ينبغي أن يكتب وفاة باديس وما بعده سنةَ سبع وأربعمائة، ، وإنما اتبعنا بعض أخبارهم بعضاً.

ذكر غزوة محمود إلى الهند

في هذه السنة غزا محمود بن سبكتكين الهند على عادته فضلَّ أدلاؤه الطريق ، ووقع هو وعسكره في مياه فاضت من البحر فغرق كثير ممن معه وخاض الماء بنفسه أياماً حتى تخلّص ، وعاد إلى خراسان .

وفيها قَبَضَ سلطان الدولة على نائبه بالعراق ووزيره فخر الملك أبي غالب (1) ،وقتل سلخ ربيع الأول . وكان عمره اثنتين وخمسين سنة وأحدَ عشرَ شهراً. وكان نظره

(ا) واسمه محمد بن على بن خلف أبو غالب فخر الملك اصله من واسط وولد فيها. استوزره بهاء الدولة أبو نصر بن بويه لما رأى من كمال عقله وأدبه – وكان من أعاظم وزراء بنى بريه – وكان كريماً ممتدحاً مدحه كثير من الشعراء . وباسمه صنف الحاسب الكرخى كتاب – الفخرى – فى الجر والمقابلة : ولما توفى بهاء الدولة اقره على الوزارة ابنة سلطان الدولة أبو شجاع فأقام زمناً وافر الحرمة مرعي الجانب ثم بدرت منه هفوة لم يغتفرها له سلطان الدولة فقتله .

بالعراق خمس سنين وأربعة شهور واثني عشر يوماً . وكان كافياً حسن الولاية والآثار. ووجد له ألف ألف دينار عينا سوى ما نهب وسِوى الأعراض ، وكان قبضه بالأهواز . ولما مات نقِل إِلى مشهد أمير المؤمنين علىّ عليه السلام فدُفِن هناك قيل : كان ابن (1) علمكار– وهو من كبار قوادهم – قد قتل إنساناً ببغداد، فكانت زوجته تكتب إلى فخر الملك ابي غالب تتظلم منه ولا يلتفت إليها فلقيته يوماً وقالت له : "تلك الرقاع التي كنت أكتبها إليك ، صرت أكتبها إلى الله تعالى " . فلم يمض على ذلك غير قليل حتى قبض هو وابن علمكار، فقال له فخر الملك : " قد برز جواب رقاع تلك المرأة ، . ولما قبض فخر الملك استوزر سلطان الدولة أبا محمد الحسن بن سهلان ، فلقب عميد أصحاب الجيوش . وكان مولده برامهرمز في شعبان سنة إحدى وستين وثلاثمائة .

ذكر قتل طاهر بن هلال بن بدر

في هذه السنة أطلق شمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه طاهر بن هلال بن بدر، واستحلفه على الطاعة له . واجتمع معه طوائف ، فقوي بهم وحارب أبا الشوك فهزمه . وقتل سعدى أخو أبي الشوك . ثم انهزم أبو الشوك منه مرة ثانية، ومض منهزماً إلى حلوان ، وبذل له أبو الحسن بن مزيد الأسدي المعاونة ، فلم يكن فيه معاودة الحرب . وأقام طاهر بالنهروان وصالح أبا الشوك وتزوَّج أخته . فلمَّا أضنه طاهر وثب عليه أبو الشوك فقتله ، بثأر أخيه سعدى ، وحمله أصحابه فدفنوه بمشهد باب التبن .

ذكر عدة حوادث

فيها توفي الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر أبو الحسن صاحب الديوان المشهور(ا)، وشهد جنازته الناس كافة ولم يشهدها أخوه لأنه لم يستطع أن ينظر إِلى جنازته ، فأقام بالمشهد الى أن أعاده الوزير فخر الملك إلى داره . ورثاه كثير من الشعراء منفم أخوه المرتضى فقال :

(ا)ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وابتدأ ينظم الشعر وله عشر سنين وكان مفرط الذكاء وصنف كتاباً في معاني القرآن يتعذر وجود مثله . وكتاباً في مجازات القرآن . وديوانه مشهور طبع مرة يقال إنه أشعر قريش وكان شيعي العقيدة هو ووالده وأخوه . ذكره الثعالبي في اليتيمة فقال : هو اليوم أبدع أبناء الزمان وأنجب سادات العراق يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر وفضل باهر . وحظه من جميع المحاسن وافر ثم هو اشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر على كثرة شعرائهم المفلتين .

يا للرجال لفجعةٍ جذمَت يدي   ووددتُـها   ذهبَتْ   عليّ براسي

مازلت آبى وردها حتى أتَتْ   فحسوْتُها في بعض ما أنا حاسي

ومطلتُها زمناً فلمَّا صممَتْ   لم يثنها مطـلي وطول مكاسي

لا تنكروا من فيض دمعي عبرة   فالدمعُ خيرُ مسـاعدٍ ومواسي

واها لعمرك من قصير طاهر   ولربئ   عـمرٍ   طال بالأرجاسِ

وفيها توفي أبو طالب أحمد بن بكر العبدي النحوي مصَنف شرح الإيضاح (1)، وأبو أحمد عبد السلام بن أبي مسلم الفرضي (2)، والإمام أبو حامد أحمد بن محمد بن أسمد الأسفراييني إمام أصحاب الشافعي . وكان يحضر درسه أربعمائة متفقه (3) . وكان يدرس بمسجد عبد الله بن المبارك بقطيعة الفقهاء، وكان عمره إحدى وستين سنة وأشهراً (4) .

وفيها تُوفي أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن والد عميد الجيوش بشيراز، وكان عمره مائة وخمس سنين . وتوفي شهاب الدولة أبو درع رافع بن محمد بن مقرن ، وله شعر حسن منه :

ما زلْتُ أبكي في الديارِ تأسفاً لبين خليل أو فـراقِ حبـيبِ

فلمَّا عرفْتُ الربعَ لا شك أنه هو الربعُ فاضَتْ مقلتي بغروبِ

وجربْتُ دهري ناسياً فوجدتُهُ أخا غِيَرٍ لا تنقضي وخـطوبِ

وعاشرْتُ أبناءَ الزمانِ فلم أجدْ من الناسِ خدناً حافظاً لمـغيبِ

ولم يبقَ منهم حافظ لذمامِهِ ولا ناصرٌ يرعى جوارَ قريـبِ

(1) قرأ على السيرافى ، والرمانى ، والفارسى ، وروى عن أبى عمر الزاهد . وعنه القاضى أبو الطيب الطبرى. شرح كتاب الجرمى أيضاً مات يوم الخميس العاشر من شهر رمضان.

(2) فى البداية والنهاية 12 / 14 أبو أحمد الفرضى عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن على بن مهران ابو مسلم الفرضى "وفى الشذرات 3/ 181" أبو أحمد الفرضى عبيد الله بن محمد بن أحمد بن محمد بن أبى مسلم المقرئ " قال الذهبى عاش اثنتين وثمانين سنة.

(3) فى البداية والنهاية 12 / 3 " سبعمائة متفقه" .

(4) كان عظيم الجاه عند السلطان والعوام واليه انتهت رياسة الدين والدنيا وعمره سبع عشرة سنة . شرح المزنى فى تعليقة حافلة نحواً من خمسين مجلداً . وله تعليقة فى

أصول الفقه . وكتاب البستان –وهو صغير– فيه غرائب توفى فى شوال ودفن فى دار. ثم نقل سنة عشر واربعمائة إلى باب حرب .

وفيها توفي الشار أبو نصر الذي كان صاحب غرشتان من خراسان في قبض بين الدولة . وتد ذكرنا سبب ذلك . وفيها في صفر قلَّد الشريف المرتضى أبو القاسم أخو الرضي نقابة العلويين، والحج ، والمظالم بعد موت أخيه الرضي . وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أهل الكرخ وبين أهل باب الشعير، ونهبوا القلائين ، فانكر فخر الملك على أهل الكرخ ، ومنعوا من النوح يوم عاشوراء ومن تعليق المسوح . وفيها، وقع بالبصرة وما جاورها وباء شديد عجز الحفارون عن حفر القبور. وفيها في حُزيران جاء مطر شديد في بلاد العراق ، وكثير من البلاد .

ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة

ذكر قتل خوارزمشاه ، وملك يمين الدولة خوارزم وتسليمها إلى التونتاش

في هذه السنة قُتِلَ خوارزمشاه أبو العباس مأمون بن مأمون ، وملك يمين الدولة خوارزم ، وسبب ذلك أن أبا العباس كان قد ملك خوارزم ، والجرجانية كما ذكرناه ، وخطب إلى يمين الدولة فزوجَهُ أخته . ثم إن يمين الدولة أرسل اليه يطلب أن يخطب له على منابر بلاده ، فأجابه إلى ذلك . وأحضر أمراء دولته واستشارهم في ذلك فأظهروا الامتناع ، ونهوه عنه وتهددوهُ بالقتل إن فعله ، فعاد الرسول ، وحكى ليمين الدولة ما شاهده . ثم إن أمراءه خافوه ، حيث ردوا أمره فقتلوه غيلة . ولم يعلم قاتله وأجلسوا مكانه أحد أولاده . وعلموا أن يمين الدولة يسوءه ذلك ، وربما طالبهم بثأره ، فتعاهدوا على مقاتلته ومقارعته .

واتصل الخبر بيمين الدولة فجمع العساكر وسار نحوهم ، فلمَّا قاربهم جمعهم صاحب جيشهم ، ويرف بالبتكين البُخاري ، وأمرهم بالخروج إلى لقاء مقدمة يمين – الدولة والإيقاع بمن فيها من الأجناد ، فساروا معه وقاتلوا مقدمة يمين الدولة واشتد القتال بينهم ، واتصل الخبر بيمين الدولة فتقدم نحوهم في سائر جيوشه ، فلحقهم وهم في الحرب ، فثبت الخوارزمية إلى أن انتصف النهار ، وأحسنوا القتال ثم انهم انهزموا ، وركبهم أصحاب يمين الدولة يقتلون ويأسرون ، ولم يسلم إلا القليل ، ثم إن البتكين ركب سفينة لينجوَ فيها ، فجرى بينه وبين من معه منافرة ، فقاموا عليه وأوثقوه، وردوا السفينة إلى ناحية يمين الدولة وسلموه إليه . فأخذه وسائر القواد

المأسورين معه وصلبهم عند قبر أبي العباس خوارزمشاه .
وأخذ الباقين من الأسرى ، فسيَّرهم إلى غزنة فوجاً بعد فوج ، فلمَّا اجتمعوا بها أفْرَج عنهم ، وأجرى لهم الأرزاق ، وسيرهم

إلى أطراف بلاده من أرض الهند يحمونها من الأعداء ، ويحفظونها من أهل الفساد ، وأخذ خوارزم واستناب بها حاجبه التونتاش .

ذكر غزوة قشمير وقنوج (1) وغيرهما

في هذه السنة غزا يمين الدولة بلاد الهند بعد فراغه من خوارزم ، فسار منها إِلى غزنة ومنها الى الهند عازماً على غزو قشمير ، إذ كان قد استولى على بلاد الهند ما بينه وبين قشمير ، وأتاه من المتطوعة نحو عشرين ألف مقاتل مما وراء النهر وغيره من البلاد . وسار إليها من غزنة ثلاثة أشهر سيراً دائماً وعبر نهر سيحون ، وجيلوم (2) – وهما نهران عميقان شديدا الجرية – فوطىء أرض الهند ، وأتاه رسل ملوكها بالطاعة ، وبذل الأتاوة . فلمَّا بلغ درب قشمير أتاه صاحبها ، وأسلم على يده وسار بين يديه إلى مقصد . فبلغ ماء جون (3) في العشرين من رجب (4) . وفتح ما حولها من الولايات الفسيحة والحصون المنيعة حتى بلغ حصن هودب (5) وهو آخر ملوك الهند . فنظر هودب من أعلى حصنه ، فرأى من العساكر ما هاله وأرعبه ، وعلم أنه لا ينجيه إلّا الاسلام . فخرج في نحو عشرة آلاف ينادون بكلمة الإخلاص طلباً للخلاص ، فقتله يمين الدولة ، وسار عنه إلى قلعة كالجند(6) – وهو من أعيان الهند وشياطينهم – وكان على طريقه غياض ملتفة لا يقدر السالك على قطعها إلا بمشقة . فسيَّر كلجند عساكره وفيوله الى أطراف تلك الغياض يمنعون من سلوكها . فترك يمين الدولة عليهم من يقاتلهم وسلك طريقاً مختصرة إلى الحصن فلم يشعروا به إلا وهو معهم . فقاتلهم قتالًا

(1) قشمير بكسر أوله وسكون ثانيه وكسر الميم وياء مثناة من تحت ساكنة وراء مدينة متوسطة لبلاد الهند، وقنوج بكسر أوله ونون مشددة مفتوحة ثم واو ساكنة ثم جيم ضعيفة هي مدينة في أقاصي الهند في جهة الشرق عن الملتان وهي من أعظم المدن.

(2) في تاريخ العتبي " جيلم " وضبط في الشرح بجيم مغلظة بعدها ياء مثناة تحتانية ممالة ساكنة ثم لام مفتوحة قصبة للهند.

(3) ماء مضافاً الى جون . وجون بفتح الجيم وسكون الواو نهر للهند.

(4) زاد العتبي في تاريخه سنة تسع وأربعمائة.

(5) بهاء في أوله وبعدها راء ودال مهملتان بوزن ثعلب من ملوك الهند كذا ضبطه المنيني في شرح العتبي . وفي الأصول "هودب " بالواو بعد الهاء.

(6) بكاف في أوله مضمومة وبعدها لام ساكنة ثم جيم غليظة مفتوحة ثم نون ساكنة ثم دال مهملة من ملوك الهند كذا في المنيني.

شديداً فلم يطيقوا الصبر على حد السيوف فانهزموا وأخِذهم السيف من خلفهم ولقوا نهراً عميقاً بين أيديهم ، فاقتحموه فنرق أكثرهم . وكان القتلى ، والغرقى قريباً من خمسين ألفاً.

وعمد كلجند إلى زوجته فقتلها ثم قتل نفسه بعدها ، وغنم المسلمون أمواله وملكوا حصونه . ثم سار نحو بيت متعبد لهم – وهو من مهرة الهند وهو من أحصن الأبنية – على نهر ، ولهم به من الأصنام كثير ، منها خمسة أصنام من الذهب الأحمر مرصعة بالجواهر . وكان فيها من الذهب ستمائة ألف وتسعون ألفاً وثلاثمائة مثقال ، وكان بها من الأصنام المصوغة من النقرة نحو مائتي صنم . فأخذ يمين الدولة ذلك جميعه وأحص ق الباقي ، وسار نحو قنوج وصاحبها راجيال فوصل إليها في شعبان (1) . فرأى صاحبها قد فارقها وعبر الماء المسمى كنك (2) ، وهو ماء شريف عندهم يرون أنه من الجنة وان من غرق نفسه فيه طهر من الآثام . فأخذها يمين الدولة وأخذ قلاعها وأعمالها وهي سبع على الماء المذكور . وفيها قريب من عشرة آلاف بيت صنم ، يذكرون أنها عملت من مائتي ألف سنة إِلى ثلاثمائة ألف كذباً منهم وزوراً .

ولما فتحها أباحها عسكره ثم سار إلى قلعة البراهمة(3) فقاتلوه وثبتوا . فلمَّا عضهم السلاح علموا أنهم لا طاقة لهم ، فاستسلموا للسيف ، فقتلوا ولم ينجُ منهم إلا الشريد . ثم سار نحو قلعة آسى(4) وصاحبها جندبال ، فلمَّا قاربها هرب جندبال (5) وأخذ يمين الدولة حصنه وما فيه. ثم سار إلى قلعة شروه

(6) ، وصاحبها جندراي (7) فلمَّا قاربه نقل ماله وفيوله نحو جبال هناك منيعة يحتمي بها ، وعمي خبره ، فلم يدر أين

(1) فى تاريخ العتبى " ووصل ثامن شعبان "

(2)بكافين الاولى منهما مفتوحة وبينهما نون ساكنة .

(3) البراهمة العلماء فى لغتهم .

(4) بهمزة ممدودة ثم شين مهملة مفتوحة ثم ياء مقصورة ساكنة وهى على شط جون .

(5) فى العتبى " جندال بهور " الجيم فيه غليظة مفتوحة وبعدها نون ساكنة ثم دال مهملة ثم الف ثم لام ثم ياء خالصة موحدة ثم هاء مضمومة ثم واو ساكنة ثم راء ساكنة أيضاً . وجند فى لغتهم القمر. وهو اسم مركب .

(6) بفتح أوله وبعدها راء مهملة ساكنة ثم واو مفتوحة ثم هاء.

(7) الجيم فيه غليظة مفتوحة وبعدها نون ساكنة ثم دال مهملة ساكنة ثم راء صحيحة مهملة ثم الف ثم ياء فى لغة هندية وتعريبه ففى يديك وهو من ملوك الهند.

هو، فنازل يمين الدولة حصنه فافتتحه وغنم ما فيه . وسار في طلب جندراي ، جريدة وقد بلغه خبره ، فلحق به في آخر شعبان فقاتله . فقتل أكثر جند جندراي ، وأسر كثيراً منهم ، وغنم ما معه من مال وفيل . وهرب جندراي في نفر من أصحابه فنجا ، وكان السبي في هذه الغزوة كثيراً حتى إن أحدهم كان يُباع بأقل من عشرة دراهم . ثم عاد إلى غزنة ظافراً ، ولما.عاد من هذه الغزوة أمر ببناء جامع غزنة فبنى بناء لم يسمع بمثله ، ووسع فيه . وكان جامعها القديم صغيراً وأنفق ما غنمه في هذه الغزاة في بنائه .(1) .

ذكر حال ابن فولاذ

في هذه السنة عَظُمَتْ شوكة ابن فولاذ ، وكَبُرَ شأنه . وكان ابتداء أمره أنه كان وضيعا ، فنجب في دولة بني بويه وعلا صيته ، وارتفع قدره ، واجتمع إليه الرجال ، فلمَّا كان الآن طلب من مجد الدولة ووالدته أن يقطعاه قزوين لتكون له ، ولمن معه من الرجال فلم يفعلا ، واعتذرا إليه. فقصد أطراف ولاية الري وأظهر العصيان ، وجعل يفسد ويغيّر ويقطع السبيل ، وملك ما يليه من القرى . فعجزا عنه فاستعانا بأصبهبذ المقيم بفريم (2) . فأتاهما في رجال الجبل ، وجرى بينهم وبين ابن فولاذ عدة حروب . وجُرِحَ ابن فولاذ وولى منهزماً حتى بلغ . الدامغان ، فأقام حتى عاد أصحابه إليه . ورجع أصبهبذ إلى بلاده ؛ وكتب ابن فولاذ إلى منوجهر بن قابوس يطلب أن ينفذ له عسكراً ليملك البلاد ، ويقيم له الخطبة فيها ، ويحمل إليه المال ، فأنفذ له ألفي رجل ، فسار بهم حتى نزل بظاهر الرَّي ، وأعاد الاغارة ومنع الميرة عنها ، فضاقت الأقوات بها . فاضطر مجد

الدولة ووالدته إلى مداراته ، وإعطائه ما يلتمسه ، فاستقرَّ بينهم أن يسلما إليه مدينة أصبهان . فسار إليها وأعاد عسكر منوجهر إليه وزال الفساد ، وعاد إلى طاعة مجد الدولة .

ذكر إبتداء الدولة العلوية بالأندلس وقتل سليمان

وفي هذه السنة وليَ الأندلس علي بن حمود بن أبي العيش بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبدالله بن عمر بن إِدريس بن إدريس بن عبدالله بن لمحسن بن

(ا) راجع صفة بناء الجامع وما أنفق فى بنانه تاريخ العتبى جزء ثانى .

(2)بكسر الفاء فى أوله وثانيه راء مكسورة بعدها ياء ساكنة وميم موضع بجبال الديلم .

الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام . وقيل : في نسبه غير ذلك مع إتفاق على – صحة نسبه إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام . وكان سبب ذلك أن القى خيران العامري لم يكن راضياً بولاية سُليمان بن الحاكم الأموي لأنه كان من أصحاب المؤيد ، على ما ذكرناه قبل ، فلمَّا ملك سليمان قرطبة إنهزم خيران في جماعة كثيرة من الفتيان العامريين فتبعهم البربر ، وواقعهم . فاشتدَّ القتال بينهم ، وجُرِحَ خيران عدة جراحات ، وترك على أنه ميت ، فلمَّا فارقوه قام يمشي فأخذه رجل من البربر إلى داره بقرطبه وعالجه ، فبرأ وأعطاه مالاً وخرج منها سراً إلى شرق الأندلس . فكَثُرَ جمعه وقويت نفسه وقاتل من هناك من البربر ، وملك المرية واجتمع إليه الأجناد ، وأزال البربر عن البلاد المجاورة له ، فغلظ أمره وعظم شأنه .

وكان علي بن حمود بمدينة سبتة بينه وبين الأندلس عدوة المجاز مالكاً لها ، وكان أخوه القاسم بن حمود بالجزيرة الخضراء مستولياً عليها وبينهما المجاز . وسبب ملكهما أنهما كانا من جملة أصحاب سليمان بن الحاكم ، فقودهما على المغاربة ، ثم ولّاهما .هذه البلاد ، وكان خيران يميل إلى دولة المؤيد ، ويرغب فيها ، ويخطب له على منابر بلاده التي استولى عليها ، لأنه كان يظن حياته حيث فقِدَ من القصر ، فحدث لعلي بن حمود طمع في ملك الأندلس لما رأى من الاختلاف . فكتب إلى خيران يذكر له أن المزيد ، كان كتب له بولاية العهد والأخذ بثأره إن هو قتِل ، فدعا لعلي بن حمود بولاية العهد ، وكان خيران يكاتب الناس ، ويأمرهم بالخروج

على سُليمان ، فوافقه جماعة منهم عامر بن فتوح وزير المؤيد – وهو بمالقة(1)– وكاتبوا علي بن حمود وهو بسبتة ليعبر إليهم ليقوموا معه ، ويسيروا إلى قرطبة ، فعبر إلى مالقة في سنة خمس وأربعمائة . فخرج عنها عامر بن فتوح وسلَّمها ودعا بولاية العهد .

وسار خيران ومن أجابه إليه فاجتمعوا بالمنكب – وهي ما بين المرية ومالقة –سنة ست وأربعمائة – وقرروا ما يفعلونه ، وعادوا يتجهَّزون ، لقصد قرطبة . فتجهزوا وجمعوا من وافقهم ظ وساروا إلى قرطبة وبايعوا علياً على طاعة المؤيد الأموي ، فلمَّا بلغوا غرناطة وافقهم أميرها، وسار معهم إلى قرطبة فخرج سليمان ، والبربر إليهم فالتقوا واقتتلوا على عشرة فراسخ من قرطبة ، ونشب القتال بينهم فانهزم سُليمان ،

(1) بفتح اللام والقاف كلمة عجمية . مدينة باندلس .

والبربر وقتل منهم خلق كثير . وأخذ سليمان أسيراً فحمل إلى علي بن حمود ومعه أخوه وأبوه الحاكم بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، ودخل علي بن حمود قرطبة في المحرم سنة سبع .. ودخل خيران ، وغيره إلى القصر طمعاً في أن يجدوا المؤيد حياً ، فلم يجدوه ورأوا شخصاً مدفوناً ، فنبشوه وجمعوا له الناس ، وأحضروا بعض فتيانه الذين رباهم ، وعرضوه عليه ففتشه وفتش أسنانه لأنه كان له سن سوداء ، كان يعرفها ذلك الفتى ، فاجمع هو وغيره على أنه المؤيد خوفاً على أنفسهم من علي ، فاخبروا خيران أنه المؤيد . وكان ذلك الفق يعلم أن المؤيد حي ، فأخذ علي بن حمود سُليمان ، وقتله سابع المحرم سنة سبع ، وقتل أباه وأخاه . ولما حضر أبوه بين يدي علي بن حمود قال له : يا شيخ قتلتم المؤيد ؟ فقالي : والله ما قتلناه وإنه لحيٌّ . فحينئذ أسرع في قتله . وكان شيخاً صالحاً منقبضاً لم يتدنسْ بشيء من أحوال ابنه . واستولى علي بن حمود على قرطبة ، ودعا الناس إلى بيعته ، فبويع واجتمع له الملك . ولقب المتوكل على الله . ثم إن خيران أظهر الخلاف عليه لأشياء ، منها أنه كان طامعاً أن يجد المؤيد فلم يجده . ومنها أنه نقل إليه أن علياً يريد قتله . فخرج عن قرطبة وأظهر الخلاف عليه .

ذكر ظهور عبد الرحمن الأموي

لما خالف خيران علياً أرسل يسالِ عن بني أمية ، فدلَّ على عبد الرحمن بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، وكان قد خرج من قرطبة مستخفياً وَنزل بجيان ، وكان أصلح من بقي من بني أمية . فبايعه خيران وغيره ولقبوه المرتضى ، وراسل خيران منذر بن يحيى التجيبي أمير

سرقسطة ، والثغر الأعلى وراسل أهل شاطبة ، وبلنسية ، وطرطوشة ، والبونت (ا) فأجابوا كلهم إلى بيعته والخلاف على علي بن حمود . فاتفق عليه أكثر الأندلس ، واجتمعوا بموضع يعرف بالرياحين في الأضحى سنة ثمان وأربعمائة ، ومعهم الفقهاء والشيوخ . وجعلوا

(ا) شاطبة. بالطاء المهملة والباء الموحدة مدينة شرق الاندلس واليها ينسب الشاطبى المقرى . وغيره . وبلنسية السين فيها مهملة مكسورة رياء خفيفة مدينة مشهورة بالاندلس أيضاً. وطرطوشة بفتح أوله وسكون ثانيه ثم طاء أخرى مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة مدينة أيضاً بالاندلس . والبونت بضم أوله والواو والنون ساكنان والتاء فوقها نقطتان حصن بالاندلس .

الخلافة شورى وأصفقوا على بيعته . وساروا معه إِلى صنهاجة والنزول على غرناطة . وأقبل المرتضى على أهل بلنسية ، وشاطبة ، وأظهر الجفاء لمنذر بن يحيى التجيبي ولخيران؛ ولم يقبل عليهما . فندما على ما كان منهما ، وسار حتى وصل إلى غرناطة ، فوصل إليها ونزل عليها وقاتلوها أياماً قتالاً شديداً فغلبهم أهل غرناطة وأميرهم زاوي بن زيري الصنهاجي . وانهزم المرتضى وعسكره ، واتبعهم صنهاجة يقتلون ويأسرون ، وقتل المرتضى في هذه الهزيمة وعمره أربعون سنة وهو أصغر من أخيه هشام ، وسار أخوه هشام إلى البونت ، وأقام بها إِلى أن خوطب بالخلافة ؛ ولم يزل علي بن حمود بعد هذه الهزيمة يقصد بلاد خيران ، والعامريين مرة بعد أخرى .

ذكر قتل علي بن حمود العلوي

فلمَّا كان في ذي القعدة سنة ثمان وأربعمائة ، تجهز علي بن حمود للمسير إلى جيان ، لقتال من بها من عسكر خيران . فلمَّا كان الثامن والعشرون منه ، برزت العساكر الى ظاهر قرطبة بالبنود والطبول ، ووقفوا ينتظرون خروجه ، فدخل الحمام ومعه غلمانه فقتلوه –. فلمَّا طال على الناس انتظاره بحثوا عن أمره ، فدخلوا عليه فرأوه مقتولاً . فعاد العسكر إلى البلد . وكان لقبه المتوكل على الله . وقيل : الناصر لدين الله ، وكان اسمر ، أعين ، أكحل ، خفيف الجسم طويل القامة ، حازماً ، عازماً ، عادلاً ، حسن السيرة . وكان قد عزم على إعادة أموال أهل قرطبة إليهم التي أخذها البربر ، فلم تطل أيامه ، وكان يحب المدح ويجزل العطاء عليه . ثم ولي بعده

أخوه القاسم – وهو أكبر من علي بعدة أعوام – وكان عمر علف ثمانياً وأربعين سنة ، بنوه يحيى ، وإدريس ، وأمه قرشية وكنيته أبو الحسن ، وكانت ولايته سنة وتسعة أشهر .

ذكر ولاية القاسم بن حمود العلوي بقرطبة

قد ذكرنا قتل أخيه علي بن حمود سنة سبع (1) وأربعمائة . فلمَّا تتل بايع الناس أخاه القاسم ، ولقب المأمون . فلمَّا ولي واستقرَّ ملكه كاتب العامريين واستمالهم . وأقطع زهيرا جيان ، وقلعة رباح ، وبياسة . وكانت خيران واستعطفه فلجأ اليه ،

(ا) ذكر المؤلف في ترجمة قتل علي بن حمود أنه قتل سنة ثمان لا سبع.

واجتمع به ثم عاد عنه إلى المرية . وبقي القاسم مالكاً لقرطبة وغيرها الى سنة اثنتي عشرة وأربعمائة . وكان وادعاً ليناً يحب العافية ، فأمّن الناس معه ، وكان يتشيع إلا أنه لم تظهر شيئاً من ذلك . فسارعن قرطبة إلى أشبيلية ، فخالفه يحيى ابن أخيه فيها .

ذكر دولة يحيى بن علي بن حمود وما كان منه ومن عمه

لما سار القاسم بن حمود عن قرطبة إِلى اشبيلية ساو ابن أخيه يحيى بن علي من مالقة الى قرطبة ، فدخلها بغير مانع ، فلمَّا تمكن بقرطبة دعا الناس الى بيعته ، فأجابوه ، فكانت البيعة مستهل جُمادى الأولى من سنة إثنتي عشرة وأربعمائة ، ولقب بالمعتلى ، وبقي بقرطبة يدعى له بالخلافة ، وعمه القاسم بإشبيلية يدعى له بالخلافة إلى ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وأربعمائة . فسار يحيى عن قرطبة إلى مالقة ووصل الخبر إلى عمه ، فركب وجدَّ في السير ليلًا ونهاراً إِلى أن وصل إلى قرطبة . فدخلها ثامن عشر ذي القعدة سنة ثلاث عشرة. وكان مدّة مقامه بإشبيلية ، قد استمال العساكر من البربر وقوي بهم ، وبقي القاسم بقرطبة شهوراً ثم اضطرب أمره بها ، وسار ابن أخيه يحيى بن علي إِلى الجزيرة الخضراء ، وغلب عليها وبها أهل عمه وماله . وغلب أخوه إدريس بن علي صاحب سبتة على طنجة – وهى كانت عدة القاسم التي يلجأ إليها إن رأى ما يخاف بالأندلس – فلمَّا ملك ابنا أخيه بلاده طمع فيه الناس وتسلَّط البربر على قرطبة ، فاخذوا أموالهم . فاجتمع أهلها وبرزوا إلى قتاله عاشر جُمادى الأولى سنة أربع عشرة ، فاقتتلوا قتالًا شديداً .

ثم سكنت الحرب وأمّن بعضهم بعضاً إلى منتصف جُمادى الأولى من السنة والقاسم بالقصر يظهر التودد لأهل قرطبة ، وأنه معهم وباطنه مع البربر ، فلمَّا كان يوم الجمعة منتصف جُمادى الآخرة صلى الناس الجمعة ، فلمَّا فرغوا تنادوا ، السلاح السلاح فاجتمعوا ولبسوا السلاح وحفظوا البلد ودخلوا قصر الامارة . فخرج عنها القاسم واجتمع معه البربر ، وقاتلوا أهل البلد وضيقوا عليهم ، وكانوا أكثر من أهله . فبقوا كذلك نيفا وخمسين يوماً – والقتال متصل – فخاف أهل قرطبة وسألوا البربر في أن يفتحوا لهم الطريق ويؤمنوهم على أنفسهم وأهليهم ، فأبوا إلاّ أن يقتلوهم ، فصبروا حينئذ على القتال ، وخرجوا من البلد ثاني عشر شعبان ، وقاتلوهم قتال مستقتل فضرهم الله على البربر ومن بُغِيَ عليه لينصرنه اللّه . وانهزم البربر هزيمة عظيمة،

ولحق كل طائفة منهم ببلد فاستولوا عليه . وأما القاسم بن حمود فانه سار إلى إشبيلية ، وكتب إلى أهلها في إخلاء الف دار ، ليسكنها البربر فعظم ذلك عليهم . وكان بها ابناه محمد ، والحسن . فثار بهما أهلها فأخرجوهما عنهم ومن معهما ، وضبطوا البلد ، وقدموا على أنفسهم ثلاثة من شيوخهم ، وكبرائهم ، وهم القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي ، ومحمد بن يريم الألهاني ، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي . وكانوا يدبرون أمر البلد والناس . ثم اجتمع ابن يريم ، والزبيدي وسألوا ابن عباد أن ينفرد بتدبير أمورهم ، فامتنع وألحوا عليه ، فلمَّا خاف على البلد بامتناعه أجابهم إلى ذلك ، وانفرد بالتدبير وحفظ البلد. فلمَّا رأى القاسم ذلك سار في تلك البلاد ، ثم إنه نزل بشريش (ا) ، فزحف إليه يحيى ابن أخيه علي ومعه جمع من البربر فحصروه ، ثم أخذوه أسيراً فحبسه فبقي في حبسه إلى أن توفي يحيى ، وملك أخوه إدريس. فلمَّا ملك قتله . وقيل : بل مات حتف أنفه ، وحُمِلَ إلى ابنه محمد وهو بالجزيرة الخضراء فدفنه ، وكانت مدة ولاية القاسم بقرطبة –مذ تسمى بالخلافة إلى أن أسره ابن أخيه – ستة أعوام ، وبقي محبوساً ستة عشر سنة ، إِلى أن قتل سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وكان له ثمانون سنة . وله من الولد محمد ، والحسن أمهما أميرة بنت الحسن بن القاسم المعروف بقتون بن إبراهيم بن محمد بن القاسم بن إدريس بن إدريس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام . وكان أسمر ، أعين ، أكحل ، مصفر اللون ، طويلاً ، خفيف العارضين .

لما انهزم البربر ، والقاسم بن علي من أهل قرطبة على ما ذكرناه ، اتفق رأي أهل قرطبة على ردِّ بني أمية ، فاختاروا عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، فبايعوه بالخلافة ثالث عشر رمضان من سنة أربع عشرة وأربعمائة – وعمره حينئذ اثنتان وعشرون سنة – وتلقبَ بالمستظهر بالله ، فكانت ولايته شهراً واحداً وسبعة عشر يوماً ، وقُتِلَ . وكان سبب قتله أنه أخذ جماعة من أعيان قرطبة ، فسجنهم لميلهم إلى سُليمان بن المرتضى عبد الرحمن بن محمد بن

(ا)بشينين معجمتين بينهما راء مكسورة وياء تحتية ساكنة مدينة كبيرة.

عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر ، وأخذ أموالهم . فسعوا عليه من السجن وألبوا الناس ، فأجابهم صاحب الشرطة وغيره ، واجتمعوا وقصدوا السجن فأخرجوا من فيه . وكان ممن وافقهم على ذلك أبو عبد الرحمن محمد بن عبد الرحمن الأموي في جماعة كثيرة ، فظفروا بالمستظهر فقتلوه في ذي القعدة ولم يعقب . وكنيته أبو المطرف ، وأمه أم ولد . وكان أبيض ، أشقر ، أعين ، ششن الكفين ، رحب الصدر، وكان أديباً، خطيباً ، بليغاً ، رقيق الطبع له شعر جيد ، وكان وزيره أبا محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، وكان سُليمان بن المرتضى قد مات قبل قتله بعشرة أيام .

ذكر ولاية محمد بن عبد الرحمن

لما قتل المستظهر بايع الناس بقرطبة محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالله بن الناصر ، وكنيته أبو عبد الرحمن الأموي في ذي القعدة سنة أربع عشرة وأربعمائة . وخطبوا له بالخلافة ولقبوه المستكفي بالله . وكان همه لا يعدو فرجه وبطنه ، وليس له هم ولا فكر في سواهما . وبقي بها ستة عشر شهراً وأياماً ، وثار عليه أهل قرطبة في ربيع الأول سنة ست عشرة وأربعمائة ، فخلعوه . وخرج عن قرطبة ومعه جماعة من أصحابه حتى صار إلى أعمال مدينة سالم ، فضجر منه بعض أصحابه فشوى له دجاجة وعمل فيها شيئاً من البش ، فأكلها فمات في ربيع الآخر من هذه السنة . وكان في غاية التخلف ، وله أخبار يقبح ذكرها ، وكان ربعة ، أشقر ، أزرق ، مدوّر الوجه ، ضخم الجسم ، وكان عمره نحو خمسين سنة . ولما توفي

أعاد أهل قرطبة دعوة المعتلي بالله يحيى بن علي بن حمود العلوي بها .

ذكر عود يحيى العلوي إلى قرطبة وقتله

ولما مات أبو عبد الرحمن الأموي وصح عند أهل قرطبة خبر موته سعى معهم بعض أهلها ليحيى بن علي بن حمود العلوي ليعيدوه إلى الخلافة ، وكان بمالقة يخطب لنفسه بالخلافة ، فكتبوا إليه وخاطبوه بالخلافة وخطبوا له في رمضان سنة ست عشرة وأربعمائة . فأجابهم إلى ذلك ، وأرسل إليهم عبد الرحمن بن عطاف اليفرني والياً عليهم ، ولم يحضر هو باختياره . فبقي عبد الرحمن فيها إلى محرم سنة سبع عشرة . فسار اليه مجاهد ، وخيران العامريان في ربيع الأول منها في جيش كثير . فلمَّا

قاربوا قرطبة ثار أهلها بعبد الرحمن ، فأخرجوه وقتلوا من أصحابه جماعة كثيرة ، ونجا الباقون . وأقام خيران ، ومجاهد بها نحو شهر ، ثم اختلفا فخاف كل واحد منهما صاحبه . فعاد خيران عن قرطبة لسبع بقين من ربيع الآخر من السنة إلى المرية ، بقي بها إلى سنة شان عشرة وتوفي ، وقيل : سنة تسع عشرة ، وصارت المرية بعده لصاحبه زهير العامري فخالفَ حبوس بن ماكسن الصنهاجي البربري ، وأخوه على طاعة يحيى بي علي العلوي . وبقي مجاهد مدة ، ثم سار الى دانية ، وقطعت خطبة يحيى منها ، وأعِيْدَتْ خيبة الأمويين علي ما نذكره فيما بعد ان شاء الله . وبقي يتردد عليها بالعساكر واتفق البربر على طاعته وسلموا إِليه ما بأيديهم من الحصون والمدن ، فقوي وعظم شأنه . وبقيِ كذلك مدة ، ثم سار إلى قرمونة فأقام بها محاصراً لإشبيلية طامعاً في أخذها . فأتاه الخبر يوماً أن خيلاً لأهل إشبيلية ، قد أخرجها القاضي أبو القاسم بن عباد إلى نواحي قرمونة ، فركب إليهم ولقيهم وقد كمنوا له . فلم يكن بأسرع من أن قتل ، وذلك في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة . وخلف من الولد الحسن ، وإدريس لأمي ولد ، وكان أسمر ، أعين أكحل ، طويل الظهر ، قصير الساقين ، وقوراً ، هيناً ، ليناً ، وكان عمره اثنتين وأربعين سنة ، وأمه بربرية .

ذكر أخبار أولاد يحيى وأولاد أخيه وغيرهم وقتل ابن عمار

نذكر ههنا ما كان من أخبار أولاده وأولاد أخيه وغيرهم من العلويين متتابعاً لئلا ينقطع الكلام وليأخذ بعضه ببعض. لما قتل يحيى بن علي رجع أبو جعفر أحمد بن أبي موسى المعروف

بابن بقية ، ونجا الخادم الصقلبي – وهما مدبرا دولة العلويين – فأتيا مالقة وهي دار مملكتهم . فخاطبا أخاه إدريس بن علي . وكان له سبتة ، وطنجة وطلباه فأتى إلى مالقة ، وبايعاه بالخلافة على أن يجعل حسن بن يحيى المقتول مكانه بسبتة. فأجابهما إلى ذلك فبايعاه . وسار حسن بن يحيى ونجا إلى سبتة ، وطنجة ، وتلقَّب إِدريس بالمتأيد بالله ، فبقي كذلك إلى سنة ثلاثين وإحدى وثلاثين وأربعمائة . فسيَّر القاضي أبو القاسم بن عباد ولده إسماعيل في عسكر ليتغلب على ذلك البلاد فأخذ قرمونة وأخذ أيضاً أشبونة ، واستجة . فأرسل صاحبها إلى إدريس وإلى باديس بن حبوس صاحب صنهاجة فأتاه صاحب صنهاجة بنفسه ، وأمده إدريس بعسكر يقوده ابن بقية مدبر دولته ، فلم يجسروا على إسماعيل بن عباد فعادوا عنه .

فسار إسماعيل مجداً ، ليأخذ على صنهاجة الطريق ، فأدركهم وقد فارقهم عسكر إدريس قبل ذلك بساعة . فأرسلت صنهاجة من ردَّهم ، فعادوا وقاتلوا اسماعيل بن عباد ، فلم يلبث أصحابه أن انهزموا وأسلموه . فقُتِلَ وحُمِلَ رأسه ، إلى إدريس . وكان إِدريس قد أيقن بالهلاك ، وانتقل عن مالقة إلى جبل يحتمي به وهو مريض ، فلمَّا أتاه الرأس عاش بعده يومين ومات ، وترك من الولد يحيى ، ومحمداً ، وحسناً ، وكان يحيى بن علي المقتول قد حبس ابني عمه محمداً ، والحسن ابني القاسم بن حمود بالجزيرة . فلمَّا مات إدريس ، أخرجهما الموكل بهما ودعا الناس إليهما فبايعهما السودان خاصة قبل الناس لميل أبيهما إليهم . فملك محمد الجزيرة ولم يتسم بالخلافة .

وأما الحسن بن القاسم ، فإنه تنسك وترك الدنيا وحج ، وكان ابن بقية قد أقام يحيى بن إدريس بعد موت والده بمالقة ، فسار إليها نجا الصقلبي من سبتة هو والحسن بن يحيى ، فهرب ابن بقية ودخلها الحسن ونجا . فاستمالا ابن بقية حتى حضر ، فقتله الحسن وقتل ابن عمه يحيى بن إدريس وبايعه الناش بالخلافة ، ولقب بالمستنصر باللّه . ورجع نجا إلى سبتة وترك مع الحسن المستنصر نائباً له يُعرف بالشطليفي . فبقي حسن كذلك نحواً من سنتين ثم مات سنة أربع وثلاثين وأربعمائة فقيل : إن زوجته ابنة عمه ادريس سمته أسفا على أخيها يحيى ، فلمَّا مات المستنصر اعتقل الشطيفي إدريس بن يحيى .

وسار نجا من سبتة إلى مالقة ، وعزم على محو أمر العلويين وأن يضبط البلاد لنفسه . وأظهر البربر على ذلك ، فعظم عندهم فقتلوه وقتلوا الشطليفي وأخرجوا إدريس بن يحيى ، وبايعوه بالخلافة وتسمى بالعالي . وكان كثير الصدقة يتصدق كل جمعة بخمسمائة دينار ، ورد كل مطرود عن وطنه ، وأعاد عليهم أملاكهم ، وكان متأدباً، حسن اللقاء، له شعر جيد إلا أنه كان يصحب الأرذال ، ولا يحجب نساءه عنهم ، وكل من طلب منهم حصناً من بلاده أعطاه ، فأخذ منه صنهاجة عدة حصون ، وطلبوا وزيره ومدير أمره صاحب أبيه موسى بن عفان ، ليقتلوه فسلّمه إليهم فقتلوه .

وكان قد اعتقل ابني عمه محمداً ، والحسن ابني إدريس بن علي في حصن أيرش . فلمَّا رأى ثقته بأيرش اضطراب آرائه ، خالف عليه وبايع ابن عمه محمد بن

ادريس بن علي . وثار بادريس بن يحيى من عنده من السودان ، وطلبوا محمداً فجاء إليهم فسلّم إليه إدريس الأمر وبايع له سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة . فاعتقله محمد وتلقب بالمهدي وولى أخاه الحسن عهده ولقبه السامي . وظهرت من المهدي شجاعة وجراءة ، فهابه البربر وخافوه . فراسلوا الموكل بادريس بن يحيى ، فأجابهم إلى إخراجه ، وأخرجه وبايع له وخطب له بسبتة وطنجة بالخلافة ، وبقي إلى أن توفي سنة ست وأربعين .

ثم إن المهدي رأى من أخيه السامي ما أنكره فنفاه عنه ، فسار إلى العدوة إلى جبال غمارة وأهلها ينقادون للعلويين ويعظمونهم فبايعوه . ثم إن البربر خاطبوا محمد بن القاسم بم الجزيرة ، واجتمعوا إليه وبايعوه بالخلافة ، وتسمى بالمهدي أيضاً . فصار الأمر في غاية الأخلوقة والفضيحة أربعة كلهم يسمى أمير المؤمنين في رقعة من الأرض مقدارها ثلاثون فرسخاً . فرجعت البربر عنه وعاد إلى الجزيرة فمات بعد أيام ، فولي الجزيرة ابنه القاسم ولم يتسم بالخلافة . وبقي محمد بن إدريس بمالقة إلى أن مات سنة خمس وأربعين . وكان إدريس بن يحيى المعروف بالعالي عند بني (ا) يفرن بتاكرنا . فلمَّا توفي محمد بن إدريس بن علي ، قصد إدريس بن يحيى مالقة ، فملكها . ثم انتقلت إلى صنهاجة .

ذكر ولاية هشام الأموي قرطبة

لما قطعت دعوة يحيى بن علي العلوي عن قرطبة سنة سبع عشرة وأربعمائة على ما ذكرناه قبل ، أجمع أهلها على خلع العلويين لميلهم إلى البربر ، وإعادة الخلافة بالأندلس إلى

بني أمية . وكان رأسهم في ذلك أبا الحزم جهور بن محمد بن جهور ؛ فراسلوا أهل الثغور والمتغلبين هناك فى هذا فاتفقوا معهم . فبايعوا أبا بكر هشام بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، وكان مقيماً بالبنت مذ قتل أخوه المرتضى ، فبايعوه في ربيع الأول سنة ثمان عشرة. وتلقب بالمعتد بالله . وكان أسن من المرتضى ، ونهض إلى الثغور ، فتردد فيها وجرى له هناك فتن ، واضطراب شديد من الرؤساء إلى ان أتفق أمرهم على أن يسير إله ط قرطبة دار الملك ، فسار إليها ، ودخلها ثامن ذي الحجة سنة عشرين ، وبقي بها حتى خلع ثاني ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين . وكان سبب خلعه أن وزيره أبا عاصم سعيدا القزاز ، لم يكن له قديم

رياسة ، وكان يخالف الوزراء المتقدمين ويتسبب إلى أخذ أموال التجار وغيرهم . وكان يصل البربر وُيحسن إليهم ، ويقربهم . فنفر عنه أهل قرطبة فوضعوا عليه من قتله . فلمَّا قتلوه استوحشوا من هشام فخلعوه بسببه .

فلمَّا خُلِعَ هشام ، قام أمية بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر وتسور القصر مع جماعة من الأحداث ، ودعا إلى نفسه فبايعه من سواد الناس كثير ، فقال له بعض أهل قرطبة : " نخشى عليك أن تُقْتَل في هذه الفتنة . فإن السعادة قد ولت عنكم " . فقال : " بايعوني اليوم ، واقتلوني غداً " فانفذ أهل قرطبة وأعيانهم إليه لي إلى المعتد بالله يأمرونهما بالخروج عن قرطبة ، فودع المعتمد أهله ، وخرج إلى حصن محمد بن الشور بجبل قرطبة ، فبقي معه إلى أن غدر أهل الحصن بمحمد بن الشور ، فقتلوه ، وأخرجوا المعتمد إلى حصن آخر حبسوه فيه . فاحتال في الخروج منه ليلاً ، وسار إلى سُليمان بن هود الجذامي ، فأكرمه ، وبقي عنده إلى أن مات في صفر سنة ثمان وعشرين . ودُفِنَ بناحية لاردة ، وهو آخر ملوك بني أمية بالأندلس .

وأما أمية فإنه اختفى بقرطبة ، فنادى أهل قرطبة بالأسواق والأرباض ، أن لا يبقى أحد من بني أمية بها ولا يتركهم عنده أحد . فخرج أمية فيمن خرج وانقطع خبره مدة . ثم أراد العود إليها ، فعاد طمعاً في ان يسكنها . فأرسل إليه شيوخ قرطبة من منعه عنها، وقيل : قتل وغيب ، وذلك في جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين . ثم انحل عقد الجماعة وانتشر ، وافترقت البلاد على ما نذكره .

ثم إن الأندلس اقتسمه أصحاب الأطراف والرؤساء ، فتغتب كل انسان على شيء منه فصاروا مثل ملوك الطوائف ، وكان ذلك أضر شيء على المسلمين . فطمع بسببه العدو الكافر خذله الله فيهم ، ولم يكن لهم اجتماع إلى أن ملكه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين على ما نذكره إن شاء الله .

فأما قرطبة فاستولى عليها أبو الحزم جهور بن محمد بن جهور المقدم ذكره . وكان من وزراء الدولة العامرية قديم الرياسة موصوفاً بالدهاء والعقل ، ولم يدخل في شيء من الفتن قبل هذا ، بل كان يتصاون عنها . فلمَّا خلا له الجو وأمكنته الفرصة ،

وثب عليها ، فتولى أمرها وتام بحمايتها ، ولم يتنقل إلى رتبة الامارة ظاهراً بل دبرها تدبيراً لم يسبقْ إليه . وأظهر أنه حام للبلد إلى أن يجيء من يستحقه ، ويتفق عليه الناس فيسلمه إليه . ورتب البوابين والحشم على أبواب قصور الامارة ، ولم يتحول هو عن داره إليها، وجعل ما.يرتفع من الأموال السلطانية بأيدي رجال رتبهم لذلك وهو المشرف عليهم ، وصيَّر أهل الأسواق تجنداً ، وجعل أرزاقهم ربح أموال تكون بأيديهم دَيْناً عليهم ، فيكون الربح لهم ورأس –المال باقياً عليهم . وكان يتعهدهم في الأوقات المتفرقة ، لينظرَ كيف حفظهم لها ، وفرق السلاح عليهم ، فكان أحدهم لا يفارقه سلاحه حتى يعجّل حضوره إن احتاج إليه . وكان جهور يشهد الجنائز ويعود المرضى ويحضر الأفراح على طريقة الصالحين ، وهو مع ذلك يدبر الأمر تدبير الملوك ، وكان مأمون الجانب ، وأمّن الناس قي أيامه وبتي كذلك إلى أن مات في صفر سنة خمس وثلاثين وأربعمائة . وقام بأمرها بعده ابنه أبو الوليد محمد بن جهور على هذا التدبير إلى أن مات . فغلب عليها الأمير الملقب بالمأمون ، صاحب طليطلة فدبَّرها إلى أن مات بها .

وأما اشبيلية فاستولى عليها القاضي أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي – وهو من ولد النعمان بن المنذر– وقد ذكرنا سبب ذلك في دولة يحيى بن علي بن حمود قبل هذا، وفي هذا الوقت ظهر أمر المؤيد هشام بن الحاكم ، وكان قد اختفى وانقطع خبره . وكان ظهوره بمالقة ، ثم سار منها الى المرية ، فخافه صاحبها زهير العامري فأخرجه منها . فقصد

قلعة رباح فأطاعه أهلها ، فسار إليهم صاحبه إسماعيل بن ذي النون ، وحاربهم . فضعفوا عن مقاومته فأخرجوه . فاستدعاه القاضي أبو القاسم محمد بن إِسماعيل بن عباد إليه بإشبيلية، وأذاع أمره ، وقام بنصره – وكان رؤساء الأندلس في طاعته ، فأجابه إلى ذلك صاحب بلنسية نواحيها ، وصاحب قرطبة وصاحب دانية والجزائر وصاحبَ طرطوشة ، وأقروا بخلافته ، وخطبوا له وجُدِّدَتْ بيعته بقرطبة في المحرم سنة تسع وعشرين وأربعمائة .

ثم إن ابن عباد سيَّر جيشاً إِلى زهير العامري لأنه لم يخطب للمؤيد. فاستنجد زهير حبوس بن ماكسن الصنهاجي صاحب غرناطة . فسار إليه بجيشه ، فعادت عساكر ابن عباد ولم يكن بين العسكرين قتال . وأقام زهير في بياسة، وعاد حبوس إلى مالقة

فمات في رمضان من هذه السنة، وولي بعده ابنه باديس . واجتمع هو وزهير ليتفقا كما كان زهير، وحبوس فلم تستقر بينهما قاعدة واقتتلا . فقُتِلَ زهير وجمع كثير من أصحابه أواخر سنة تسع وعشرين .

ثم في سنة إحدى وثلاثين التقى عسكر ابن عباد وعليهم ابنه إسماعيل مع باديس بن حبوس وعسكر إدريس العلوي على ما ذكرناه ، عند أخبار العلويين فيما تقدم. إلا انهم ،اقتتلوا قتالًا شديداً فقُتِلَ إسماعيل . ثم مات بعده أبوه القاضي ابو القاسم سنة ثلاث وثلاثين ، وولي بعده ابنه أبو عمرو عباد بن محمد ولقّبَ بالمعتضد بالله . فضبط ما ولي وأظهر قضاة المؤيد . هذا قول ابن أبي الفياض في المؤيد، وتال غيره إن المؤيد لم يظهر خبره منذ عُدم من قرطبة عند دخول علي بن حمود إليها، وقتله سليمان وإنما كان هذا من تمويهات ابن عباد رحيله ومكره . وأعجب من اختفاء حال المؤيد، ثم تصديق الناس ابن عباد فيما أخْبِر به من حياته ، أن انساناً حضرياً ظهر بعد موت المؤيد بعشرين سنة وادّعى أنه المؤيد، فبويع بالخلافة وخطب له على منابر جميع بلاد الأندلس في أوقات متفرقة، وسُفِكَت الدماء بسببه ، واجتمعت العساكر في أمره . ولما أظهر ابن عباد موت هشام المؤيد واستقل بأمر إشبيلية ، وما انضاف إِليها بقي كذلك إلى ان مات من ذبحة لحقته لليلتين خلتا من جُمادى الآخرة سنة إحدى وستين وأربعمائة .

وولي بعده ابنه أبو القاسم محمد بن عباد بن القاضي أبي القاسم ولقبَ بالمعتمد على الله . فاتسع ملكه وشمخ سلطانه وملك كثيراً من الأندلس ، وملك قرطبة أيضاً وولى عليها ابنه

الظافر بالله . فبلغ خبر ملكه لها إلى يحيى بن ذي النون ، صاحب طليطلة، فحسده عليها فضمن له جرير بن عكاشة أن يجعل ملكها لها . وسار إلى قرطبة وأقام بها يسعى في ذلك وهو ينتهز الفرصة . فاتفق أن في بعض الليالي جاء مطر عظيم ، ومعه ريح شديدة ، ورعد وبرق فثار جرير فيمن معه ، ووصل إلى قصر الامارة ، فلم يجد من يمانعه . فدخل صاحب الباب الى الظافر وأعلمه ، فخرج بمن معه من العبيد والحرس ، وكان صغير السن وحمل عليهم ودفعهم عن الباب . ثم إنه عثر في بعض كراته ، فسقط فوثب بعض من يقاتله وقتله ة ولم يبلغ الخبر إلى الأجناد، وأهل البلد إلا والقصر قد ملك وتلاحق بجرير أصحابه واشياعه ، وترك الظافر ملقىً على الأرض عرياناً . فمر عليه بعض أهل قرطبة فأبصره على تلك الحال ، فنزع رداءه وألقاه عليه . وكان أبوه إذا ذكره يتمثل :

ولم أدرِ من ألقى عليه رداءَهُ على أنه قد سل عن ماجدٍ محضِ

ولم يزل المعتمد يسعى في أخذها حتى عاد ملكها. وترك ولده المأمون فيها، فأقام بها حتى أخذها جيش أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وقتل فيها بعد حروب كثيرة، يأتي ذكرها إِن شاء الله تعالى سنة أربع وثمانين . وأخِذَت إشبيلية من أبيه المعتمد في السنة المذكورة . وبقي محبوساً في أغمات إلى أن مات بها رحمه الله ، وكان هو وأولاده جميعهم الرشيد ، والمأمون ، والراضي ، والمعتمد ، وأبوه ، وجدُّه علماء فضلاه شعراء.

واما بطليوس فقام بها سابور الفتى العامري وتلقبَ بالمنصور، ثم انتقلت بعده إلى أبي بكر محمد بن عبد الله بن سلمة المعروف بابن الأفطس أصله من بربر مكناسة، لكنه ولد أبوه بالأندلس ،ونشؤوا بها ،وتخلقوا بخلق أهلها ، وانتسبوا إلى تجيب وشاكلهم الملك . فلمَّا توفي صارت بعده إلى ابنه أبي محمد عمر بن محمد واتسع ملكه إلى أقصى المغرب ، وقتل صبرا مع ولدين له عند تغلب أمير المسلمين على الأندلس . وأما طليطلة، فقام بأمرهها ابن يعيش فلم تطل مدته ، وصارت رياسته إلى إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن ذي النون ، ولقبه الظافر بحول الله . وأصله من البربر وولد بالأندلس وتأدبَ بآداب أهلها . وكان مولد اسماعيل سنة تسعين وثلاثمائة وتوفي سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وكان عالماً بالأدب ، وله شعر جيد وصنف كتاباً في الآداب والأخبار. وولي بعده ابنه يحيى فاشتغل بالخلاعة والمجون

وأكثر مهاداة الآفرنج ، ومصانعتهم ليتلذذ باللعب . وامتدت يده إلى أموال الرعية . ولم تزل الفرنج تأخذ حصونه شيئاً بعد شيء حتى أخِذَتْ طليطلة في سنة سبع وسبعين وأربعمائة؛ وصار هو ببلنسية، وأقام بها إلى أن قتله القاضي ابن حجاف الأحنف ، وفيه يقول الرئيس أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر:

أيُّها الأحنف مهلا فلقد جئت عويصا

إذْ قتلْتَ الملكَ يحيى وتقمصْتَ القميصا

ربَّ يومٍ فيه تُجزى لا تجدْ فيه محيصا

وأما سرقسطة والثغر الأعلى فكان بيد منذر بن يحيى التجيبي ثم توفي ، وولي بعده ابنه يحيى ، ثم صارت بعده لسليمان بن أحمد بن محمد بن هود الجذامي ، وكان

يلقب بالمستعين بالله . وكان من قواد منذر على مدينة لاردة، وله وقعة مشهورة بالفرنج بطليطلة سنة أربع وثلاثين وأربعمائة . ثم توفي وولِي بعده ابنه المقتدر بالله ، وولي بعده ابنه يوسف بن أحمد المؤتمن ، ثم ولي بعده ابنه أحمد المستعين بالله على لقب جده ، ثم ولي بعده ابنه عبد الملك عماد الدولة . ثم ولي بعده ابنه المستنصر بالله ، وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسمائة . فصارت بلادهم جميعها لابن تاشفين . ورأيت بعض أولادهم بدمشق سنة تسعين وخمسمائة وهو فقير جداً وهو قيم الربوة – فسبحان من لا يزول ولا تغيره الدهور. وأما طرطوشة فوليها لبيب الفتى العامري .

وأما بلنسية فكان بها المنصور أبو الحسن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد بن المنصور بن أبي عامر المعافري ، ثم انضاف إِليه المرية وما كان إليها، وبعده ابنه محمد، ودام فيها إلى أن غدر به صهره المأمون بن إسماعيل بن ذي النون ، وأخذ منه رياسة بلنسية في ذي الحجة سنة سبع وخمسين وأربعمائة، فانتزح إلى المرية وأقام بها إلى أن خُلِعَ ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

وأما السهلة فملكها عبود بن رزين وأصله بربري ، ومولده بالأندلس . فلمَّا هلك ولي بعده ابنه عبد الملك وكان أديباً شاعراً . ثم ولي بعده ابنه عز الدولة، ومنه ملكها الملثمون . وأما دانية ، والجزائر فكانت بيد الموفق أبي الحسن مجاهد العامري . وسار إليه من قرطبة الفقيه أبو محمد عبدالله المعيطي ، ومعه خلق كثير. فأقامه مجاهد شبه خليفة يصدر

عن رأيه وبايعه في جمادى الآخرة سنة خمس وأربعمائة . فأقام المعيطي بدانية مع مجاهد ومن انضم إليه نحو خمسة أشهر. ثم سار هو ومجاهد في البحر إلى الجزائر التي في البحر، وهي ميورقة، بالياء . ومنورقة بالنون ، ويابسة، ثم بعث المعيطي بعد ذلك مجاهداً إلى سردانية في مائة وعشرين مركباً بين كبيروصنير، ومعه ألف فرس ففتحها في ربيع الأول سنة ست وأربعين وأربعمائة . وقتل بها خلقاً كثيراً من النصارى وسبى مثلهم . فسار إليه الفرنج والروم من البر في آخر هذه السنة، فأخرجوه منها ورجع إلى الأندلس والمعيطي قد توفي فغاص مجاهد في تلك الفتن إلى أن توفي . وولي بعده ابنه علي بن مجاهد. وكانا جميعاً من أهل العلم والمحبة لأهله والاحسان إليهم وجلباهم من أقاصي البلاد وأدانيها . ثم مات ابنه علي فولي بعده ابنه أبو عامر، ولم يكن مثل أبيه وجده . ثم ان دانية وسائر بلاد بني مجاهد صارت إلى

المقتدر بالله أحمد بن سليمان بن هود في شهر رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة . وأما مرسية، فوليها بنو طاهر واستقامت رياستها لأي عبد الرحمن منهم المدعو بالرئيس ، ودامت رياسته إلى أن أخذها منه المعتمد بن عباد على يد وزيره أي بكر بن عمار المهري . فلمَّا ملكها عصى على المعتمد فيها، فوجهَ اليه عسكراً مقدمهم أبو محمد عبد الرحمن بن رشيق القشيري . فحصروه وضيقوا عليه حتى هرب منها. فلمَّا دخلها القشيري عصى فيها أيضاً على المعتمد إلى أن دخل فى طاعة الملثمين؛ وفي أبو عبد الرحمن بن طاهر بمدينة بلنسية إلى أن مات بها سنة سبع وخمسمائة، ودفن بمرسية وقد نيف على تسعين سنة .

وأما المرية فملكها خيران العامري وتوفي كما ذكرنا . ووليفا بعده زهير العامري ، واتسع ملكه إلى شاطبة إلى ما يجاور عمل طليطلة ، ودام إلى أن قتل كما تقدم . وصارت مملكته الى المنصور أي الحسن عبد العزيز،بن عبد الرحمن بن المنصور بن أبي عامر، فولي بعده ابنه محمد ، فلمَّا توفي عبد العزيز ببلنسية ، وأقام ابنه محمد بالمرية وهو يدبر بلنسية ، فانتهز الفرصة فيها المأمون يحيى بن ذي النون ، وأخذها منه وبقي بالمرية إلى أن أخذها منه صهره ذو الوزارتين أبو الأحوص المعتصم معن بن صماخ التجيبي . ودانت له لورقة، وبياسة، وجيان، وغيرها إلى أن توفي سنة ثلاث وأربعين . وولي بعده ابنه أبو يحيى محمد بن معن – وهو ابن أربع عشرة سنة – فكفِلهُ عمه أبو عتبة بن محمد إلى أن توفي سنة ست وأربعين . فبقي أبو يحيى مستضعفاً لصغره ، وأخذت بلاده

البعيدة عنه ولم يبقَ له غير المرية، وما يجاورها . فلمَّا كبر أخذ نفسه بالعلوم ومكارم الأخلاق ، فامتد صيته واشتهر ذكره وعَظُمَ سلطانه ، والتحق بأكابر الملوك ، ودام بها إلى أن نازله جيش الملثمين ، فمرض في أثناء ذلك . وكان القتال تحت قصره ، فسمع يوماً صياحاً وجلبة فقال : نغص علينا كل شيء حتى الموت . وتوفي في مرضه ذلك لثمان بقين من ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة . ودخل أولاده وأهله البحر في مركب إلى بجاية قاعدة مملكة بني حماد من أفريقية، وملك الملثمون المرية وما معها .

وأما مالقة فملكها بنو علي بن حمود ، فلم تزل في مملكة العلويين يخطب لهم فيها إلى أن أخذها منهم إدريس بن حبوس صاحب غرناطة سنة سبع وأربعين ، وانقضى أمر

العلويين بالأندلس . وأما غرناطة فملكها حبوس بن ماكسن الصنهاجي ، ثم مات سنة تسع وكشرين وأربعمائة . وولي بعده ابنه باديس . فلمَّا توفي ولي بعده ابن أخيه عبد الله ابن بلكين وبقي إلى أن ملكها منه الملثمون في رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة– وانقرضت دول جميعهم ، وصارت الأندلس جميعها للملثمين ، وملكهم أمير المسلمين يوسف بن تاشفين . واتصلت مملكته من المغرب الأقصى إلى آخر بلاد المسلمين بالأندلس . نعود إلى سنة سبع وأربعمائة .

ذكر الحرب بين سلطان الدولة وأخيه أبي الفوارس

قد ذكرنا أن الملك سلطان الدولة لما ملك بعد أبيه بهاء الدولة ولى أخاه أبا الفوارس بن بهاء الدولة كرمان ، فلمَّا وليها اجتمع إليه الديلم ، وحسنوا له محاربة أخيه وأخذ البلاد منه . فتجهز وتوجه إلى شيراز، فلم يشعر سلطان الدولة حتى دخل أبو الفوارس إلى شيراز . فجمع عساكره ، وسار إليه ، فحاربه فانهزم أبو الفوارس ، وعاد إلى كرمان . فتبعه إليها فخرج منها هارباً إلى خراسان ، وقصد يمين الدولة محمود بن سبكتين – وهو ببست – فأكرمه ، وعظمه وحمل إليه شيئاً كثيراً وأجلسه فوق دارا بن قابوس بن وشمكير فقال دارا : " نحن أعظم محلاً منهم لأن أباه وأعمامه خدموا آبائي " . فقال محمود : " لكنهم أخذوا الملك بالسيف أراد بهذا نصرة نفسه حيث أخذ خراسان من السامانية ووعد محمود أن ينصره " . ثم ان أبا الفوارس باع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه بعشرة آلاف دينار فاشتراهما محمود وحملهما إليه وقال له : من غلطكم تتركون هذا على جبهة الفرس وقيمتها ستون ألف دينار. ثم إن

محموداً سيَّر جيشاً مع أبي الفوارس إلى كرمان مقدمهم أبو سعد الطائي – وهو من أعيان قواده – فسار إلى كرمان فملكها، وقصد بلاد فارس ، وقد فارقها سلطان الدولة إلى بغداد فدخل شيراز. فلمَّا سمع سلطان الدولة عاد إلى فارس ، فالتقوا هناك واقتتلوا فانهزم أبو الفوارس ، وقتل كثير من أصحابه وعاد بأسوأ الحال ، وملك سلطان الدولة بلاد فارس . وهرب أبو الفوارس سنة ثمان وأربعمائة إلى كرمان ، فسير سلطان الدولة الجيوش في أثره ، فأخذوا كرمان منه . فلحق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاخب همذان؛ ولم يمكنه العود إلى يمين الدولة، لأنه أساء السيرة مع أبي سعد الطائي . ثم فارق شمس الدولة ولحق بمهذب الدولة ، صاحب البطيحة ، فأكرمه وأنزله داره وأنفذ إليه أخوه جلال الدولة

من البصرة مالاً وثياباً وعرض عليه الانحدار اليه فلم يفعله . وترددت الرسل بينه وبين سلطان الدولة فأعاد اليه كرمان وسيَّرت إليه الخلع والتقليد بذلك ، وحُملت إليه الأموال فعاد اليها .

ذكر قتل الشيعة بافريقية

في هذه السنة في المحرم قتلت الشيعة بجميع بلاد أفريقية . وكان سبب ذلك أن المعز بن باديس ، ركب ومشى في القيروان ، والناص يسلمون عليه ويدعون له . فاجتاز بجماعة فسأل عنهم فقيل : هؤلاء رافضة يسبون أبا بكر، وعمر. فقال : رضي الله عن أي بكر، وعمر. فانصرفت العامة من فورها الى لرب المقلي من القيروان –وهو تجتمع به الشيعة –فقتلوا منهم ، وكان ذلك شهوة العسكر وأتباعهم طمعاً في النهب ، وانبسطت أيدي العامة في الشيعة وأغراهم عامل القيروان ، وحرضهم ، وسبب ذلك أنه كان قد أصلح أمور البلد فبلغه أن . المعز بن باديس يربد عزله فأراد فساده ، فقتل من الشيعة خلقٌ كثير وأحرقوا بالنار، ونُهِبَت ديارهم وفتلوا في جميع أفريقية . واجتمع جماعة منهم إِلى تصر المنصور فريب القيروان ، فتحصنوا به فحصرهم العامة، وضيقوا عليهم . فاشتد عليهم الجوع فاقبلوا يخرجون والناس يقتلونهم حتى قتلوا عن آخرهم . ولجا من كان منهم بالمهدية الى الجامع فقتلوا كلهم. وكانت الشيعة تسمى بالمغرب المشارقة نسبة إلى أبي عبد الله الشيعي ، وكان من المشرق . وأكثر الشعراء ذكر هذه الحادثة، فمن فرح مسرور ومن باك حزين .

في هذه السنة في ربيع الأول احترقت قبة مشهد الحسين (ا) والأروقة . وكان سببه أنهم أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطتا في الليل على التازير، فاحترق وتعدَّت النار. وفيه أيضاً احترق نهر طابق ، ودار القطن ، وكثير من باب البصرة ، واحترق جامع سُر من رَأى . وفيها تشعث الركن اليماني من البيت الحرام وسقط حائط بين يدي حجرة النبي صلى الله عليه وسلم ووقعت القبة الكبيرة على الصخرة بالبيت المقدس . – وفيها كانت فتنة كبيرة بين أهل

(1) وقع الحريق بمشهد الحسين بن على وفى الله عنهما بكربلاء، وفى البداية والنهاية " ونفذت النار منه الى غيره حتى كان ما كان "

السنة والشيعة بواسط فانتصر أهل السنة، وهرب وجره الشيعة والعلويين الى علي بني مزيد فاستنصروه . وفيها في رجب مات محمد بن أحمد بن القاسم بن إسماعيل أبو الحسين الضبي القاضي – المعروف بابن المحاملي وكان من أعيان الفقهاء الشافعية ؟كبار المحدثين مولده سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة، ومحمد بن الحسين بن محمد بن الهيثم أبو عمر البسطامي (1) الواعظ الفقيه الشافعي ، ولي قضاء نيسابور.

(1) قال ابن شهبة في وصفه : سمع بالعراق ، والاهواز، واصبهان ، وسجستان ، وأملى وحدث وقرأ المذهب وكان في ابتداء امر. يعتد مجلس الوعظ والتذكير ثم ترى وأقبل على التدريس والمناظرة والفتوى في ولى قضاء نيسابور سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة فاظهر أهل الحديث من الفرح والاستبشار ما يطول شرحه . وكان نظير سهل الصعلوكى رحمه وجاهاً وعلماً فصاهره سهل رجاء بينهما جماعة سادة فضلاء. توفى فى ذى القعدة .

ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة

ذكر خروج الترك من الصين وموت طغان خان

في هذه السنة خرج الترك من الصين في عدد كثير يزيدون على ثلاثمائة ألف خركاه من أجناس الترك ، منهم الخطابية الذين ملكوا ما وراء النهر، وسيرد خبر ملكهم إن شاء الله تعالى . وكان سبب خروجهم أن طغان خان ، لما ملك تركستان مرض مرضا شديداً، وطال به المرض ، فطمعوا في البلاد لذلك . فساروا إليها وملكوا بعضها، وغنموا وسبوا وبقي بينهم وبين بلاساغون ثمانية أيام . فلمَّا بلغه الخبر كان بها مريضاً فسأل الله تعالى أن يعافيه ، لينتقمَ من الكَفَرة وشمي البلاد منهم ، ثم يفعل به بعد ذلك ما أراد، فاستجاب الله له وشفاه . فجمع العساكر وكتب إلى سائر بلاد الاسلام يستنفر الناس فاجتمع إليه من المتطوعة مائة ألف وعشرون ألفاً . فلمَّا بلغ الترك خبر عافيته وجمعه العساكر وكثرة من معه عادوا إلى بلادهم . فسار خلفهم نحو ثلاثة أشهر حتى أدركهم ، وهم آمنون لبعد المسافة . فكبسهم وقتل منهم زيادة على مائتي ألف رجل ، وأسر نحو مائة ألف وغنم من الدواب ، والخركاهات ، وغير ذلك من الأواني الذهبية ، والفضية، ومعمول الصين ما لا عهد لأحد بمثله . وعاد إلى بلاساغون . فلمَّا بلغها عاوده مرضه فمات منه . وكان عادلاً خيراً ، دَيناً ، يحب العلم ، وأهله ، ويميل إلى أهل الدين ويصلهم ويقربهم . وما أشبه قصته بقصة سعد بن معاذ الأنصاري ، وقد تقدمت في غزوة الخندق وقيل : كانت هذه الحادثة مع أحمد بن علي قراخان أخي طغان خان ، وإنها كانت سنة ثلاث وأربعمائة .

ذكر ملك أخيه أرسلان خان

لما مات طغان خان ملك بعده أخوه أبو المظفر أرسلان خان – ولقبه شرف الدولة – فخالف عليه قدرخان يوسف بن بغراخان هارون بن سُليمان الذي ملك

بخارى – رقد تقدم ذكره – وكان ينوب عن طغان خان بسمرقند . فكاتب يمين الدولة يستنجده على أرسلان خان ، فعقد على جيحون جسراً من السفن ، وضبطه بالسلاسل ، فعبر عليه ولم يكن يعرف هناك قبل هذا . وأعانه على أرسلان خان . ثم إن يمين الدولة خافه فعاد إلى بلاده . فاصطلح قدرخان وأرسلان خان على قصد بلاد يمين الدولة، واقتسامها وسارا إلى بلخ . وبلغ الخبر إلى يمين الدولة فقصدهما واقتتلوا . وصبر الفريقان ، ثم انهزم الترك وعبروا جيحون . فكان من غرق منهم أكثر ممن نجا .

وورد رسول متولي خوارزم إلى يمين الدولة يهنئه بالفتح عقيب الوقعة فقال له : من أين علمتم ؟ فقال : من كثرة القلانس التي جاءت على الماء، وعبر يمين الدولة فشكا أهل تلك البلاد إلى قدرخان ما يلقون من عسكر يمين الدولة فقال : " قد قَرُب الأمر بيننا، وبين عدونا فان ظفرنا منعنا عنكم ، وإن ظفر عدونا فقد استرحتم منا " . ثم اجتمع هو وقدرخان وأكلا طعاماً . وكان قدرخان عادلاً ، حسن السيرة، كثير الجهاد، فمن فتوحه ختن –وهي بلاد بين الصين وتركستان –وهي كثيرة العلماء والفضلاء . وبقي كذلك إلى سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، فتوفي فيها – وكان يديم الصلاة في الجماعة – ولما توفي خلف ثلاث بنين منهم أبو شجاع أرسلان خان وكان له كاشغر، وختن ، وبلاساغون ، وخطب له على منابرها، وكان لقبه شرف الدولة . ولم يشرب الخمر قط ، وكان ديناً، مكرماً للعلماء، وأهل الدين . فقصدوه من كل ناحية فوصلهم وأحسن اليهم . وخلف أيضاً بغراخان بن قدرخان وكان له طراز،

واسبيجاب . فقدم أخوه أرسلان وأخذ مملكته فتحاربا، فانهزم أرسلان خان وأخِذَ أسيراً فأودعوه الحبس وملك بلاده ، ثم إن بغراخان عهد بالملك لولده الأكبر– واسمه حسين جغري تكين – وجعله ولي عهده – وكان لبغراخان امرأة له منها ولد صغير فغاظها ذلك فعمدت إليه وسمَّتْه ، فمات هو وعدة من أهله . وخنقت أخاه أرسلان خان بن قدرخان ، وكان ذلك سنة تسع وثلاثين وأربعمائة . وقتلت وجوه أصحابه وملكت ابنه ، واسمه إبراهيم ، وسيرته في جيش إلى مدينة تُعرفُ ببرسخان ، وصاحبها يعرف بينالتكين . فظفر به ينالتكين ، وقتله وانهزم عسره الى أمه . واختلف أولاد بغراخان فقصدهم طفغاج خان صاحب سمرقند .

وكان طفغاج خان أبو المظفر إبراهيم بن نصر أيلك ، يلقب عماد الدولة ، وكان بيده سمرقند، وفرغانة . وكان أبوه زاهداً متعبداً ، وهو الذي ملك سمرقند فلمَّا مات ورثه ابنه طفغاج ،وملك بعده . وكان طفغاج متديناً لا يأخذُ مالًا حتى يستفتي الفقهاء. فورد عليه أبو شجاع العلوي الواعظ – وكان زاهداً – فوعظه وقال له : إنك لا تصلح للملك ، فأغلق طفغاج بابه وعزم على ترك المُلك . فاجتمع عليه أهل البلد وقالوا : قد أخطأ هذا والقيام بأمورنا متعين عليك . فعند ذلك فتح بابه ومات سنة ستين وأربعمائة .

وكان السلطان ألب ارسلان قد قصد بلاده ونهبها أيام عمه طغر لبك ، فلم يقابل الشرّ بمثله . وأرسل رسولاً إلى القائم بأمر الله سنة ثلاث وخمسين يهنئه بعوده إلى مستقره ، ويسأل التقدم إلى ألب أرسلان بالكف عن بلاده ، فأجيبَ إلى ذلكُ ، وأرسل إليه الخلع والألقاب ثم فُلجَ سنة ستين . وكان في حياته قد جعل الملك في ولده شمس الملك ، فقصده أخوه طغان خان بن طفغاج ، وحصره بسمرقند فاجتمع أهلها إلى شمس الملك وقالوا له : " قد خرَّب أخوك ضياعنا وأفسدها ولو كان غيره لساعدناك ، ولكنه أخوك فلا ندخل بينكما . فوعدهم المناجزة، وخرج من البلد نصف الليل في خمسمائة غلام معدين ، وكبس أخاه – وهو غير محتاط – فظَفرَ به فهزمه ، وكان هذا وأبوهما حي . ثم قصده هارون بغراخان بن يوسف قدرخان وطغرل قراخان – وكان طفغاج قد استولى على ممالكهما – وقاربا سمرقند فلم يظفرا بشمس الملك ،

فصالحاه وعادا . فصارت الأعمال المتاخمة لجيحون لشمس الملك ، ،إعمال الخاهر في أيديهما والحد بينهما خجندة .

وكان السلطان ألب أرسلان قد تزوج ابنة قدرخان وكانت قبله عند مسعود بن محمود بن سبكتكين ، وتزوج شمس الملك ابنة ألب أرسلان ، وزوج بنطَ عمه عيسى خان من السلطان ملكشاه – وهي خاتون الجلالية أم الملك محمود الذي ولي السلطنة بعد أبيه – وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى . ثم اختلف ألب أرسلان وشمس الملك ، وسنذكره سنة خمس وستين عند قتل ألب أرسلان ، ثم مات شمس الملك فولي بعده أخوه خضر خان . ثم مات فولي ابنه أحمد خان – وهو الذي قبض عليه ملكشاه ، ثم أطلقه وأعاده إلى ولايته سنة خمس وثمانين –وسنذكره هناك إن شاء الله تعالى . ثم إن

جنده ثاروا به فقتلوه . وملك بعده محمود خان . وكان جدَّه من ملوكهم وكان أصم . فقصده طغان خان بن قراخان صاحب طراز فقتله ، واستولى على الملك ، واستناب بسمرقند أبا المعالي محمد بن زيد العلوي البغدادي فولي ثلاث سنين ، ثم عصى عليه فحاصره طغان خان وأخذه وقتله . وقتل خلقاَ كثيراً معه ، ثم خرج طنان خان إلى ترمذ يريد خراسان ، فلقيه السلطان سنجر ، وظفر به وقتله وصارت أعمال ما وراء النهر له فاستناب بها محمد خان بن كمشتكين بن إبراهيم بن طفغاج خان ، فأخذها منه عمر خان وملك سمرقند، ثم هرب من جنده ، وقصد خوارزم فظفر به السلطان سنجر فقتله ، وولي سمرقند محمد خان ، وولي بُخارى محمد تكين بن طغانتكين .

ذكر كاشغر وتركستان

وأما كاشغر– وير مدينة تركستان – فإنها لأرسلان خان بن يوسف قدرخان كما ذكرنا . ثم صارت بعده لمحمود بغراخان صاحب طراز، والشاش خمسة عشر شهراً . ثم مات فولي بعده طغرلخان بن يوسف قدرخان فاستولى على الملك وملك بلاساغون ، وكان ملكه ست عشرة سنة . ثم توفي ، وملك ابنه طغرلتكين وأقام شهرين ، ثم أتى هارون بغراخان أخو يوسف طغرلخان بن طفغاج بغراخان ، وسبر كاشغر، وقبض على هارون وأطاعه عسكره وملك كاشغر، وختن وما يتصل به إلى ساغون ، وأقام مالكاً تسعاً وعشرين سنة وتوفي سنة ست وتسعين وأربعمائة، فولي ابنه أحمد بن أرسلان خان ، وأرسل رسولاً إلى الخليفة المستظهر بالله يطلب منه الخلع والألقاب ، فأرسل إليه ما طلب ولقبه نور الدولة .

في هذه السنة في جُمادى الاولى ، توفي مهذب الدولة أبو الحسن علي بن نصر،ومولده سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة وهو الذي نزل عليه القادر بالله ، وكان سبب موته أنه

(ا)كان رحمه الله من اصحاب الوفاء والمكارم ولي البطائح سنة ست وسبعين وثلاثمائة بعد ان توفي خاله المظفر بن علي وزوجه بهاء الدولة ابنته. وصارت البطيحة معقلا لكل من قصدها لان مهذب الدولة كان كل من لجأ إلى بلاده في الشدائد يؤويه ويحميه ويحسن إليه . ومن أكبر مناقبه احسانه إلى أمير المؤمنين القادر بالله لما استجار به ونزل عنده بالبطائح فاراً من الطائع فآواه وأحسن إليه وكان في خدمته حتى ولي أمرة المؤمنين توفي عن اثنتين وسبعين سنة .

افتصد فانتفخ ساعده ومرض منه واشتد مرضه . فلمَّا كان قبل وفاته بثلاثين أيام ، تحدثَ الجند باقامة ولده أبي الحسين أحمد مقامه ، فبلغ ابن أخت مهذب الدولة – وهو أبو محمد عبد الله بن يني – فاستدعي الديلم والأتراك ، ورغبهم ووعدهم واستحلفهم لنفسه وقرر معهم القبض على أبي الحسين بن مهذب الدولة، وتسليمه إليه فمضوا إليه ليلاً وقالوا له : " أنت ولد الأمير، ووارث الأمر من بعده فلو قمت معنا إلى دار الامارة ليظهر أمرك وتجتمع الكلمة عليك لكان حسناً" ، فخرج من داره معهم فلمَّا فارقها قبضوا عليه وحملوه إلى أبي محمد فسمعت والدته ،فدخلت إلى مهذب الدولة قبل موته بيوم ، فأعلمته الخبر فقال : " أي شيء أقدر أعمل وأنا على هذه الحال ؟ " وتوفي من الند، وولي الأمر أبو محمد وتسلَم الأموال والبلد، وأمر بضرب أبي الحسين بن مهذب الدولة ، فضرب ضرباً شديداً توفي منه بعد ثلاثة أيام من موت أبيه ، وبقي أبو محمد أميراً إلى منتصف شعبان وتوفي بالذبحة، وكان قد قال قبل موته : رأيت مهذب الدولة في المنام ، وقد أمسك حلقي ليخنقني ويقول : قتلت ابني أحمد وقابلت نعمتي عليك بذاك ، فمات بعد أيام فكان ملكه أقل من ثلاثة أشفر. فلمَّا توفي اتفق الجماعة على تأمير أبي عبد الله الحسين بن بكر الشرابي – وكان من خواص مهذب الدولة – فصار أمير البطيحة وبذل للملك سلطان الدولة بذولاً فأقره عليها . وبقي إلى سنة عشر وأربعمائة . فسيَّر إليه سلطان الدولة صدقة بن فارس المازياري ، فملك البطيحة، وأسر أبا عبد الله الشرابي فبقي

عند أسيراً إلى أن توفي صدقة، وخلص على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر وفاة علي بن مزيد وإمارة ابنه دبيس

في هذه السنة في ذي القعدة ، توفي أبو الحسن علي بن مزيد الأسدي وقام بعده ابنه نور الدولة أبو الأغردبيس . وكان أبوه قد جعله ولي عهده في حياته ، وخلع عليه سلطان الدولة وأذن في ولايته . فلمَّا توفي والده اختلفت العشيرة على دبيس ، فطلب اخوه المقلد بن أبي الحسن على الامارة، وسار إلى بغداد، وبذل ط للأتراك بذولاً كثيرة ليعاضدوه . فسار معه منهم جمع كثير وكبسوا دبيساً بالنعمانية ونهبوا حلّته . فانهزم إلى نواحي واسط ، وعاد الأتراك إلى بغداد . وقام الأثير الخادم بأمر دبيس ، حتى ثبت قدمه ومضى المقلد أخوه إلى بني عقيل . ونذكر باقي أخباره موضعها إن شاء الله تعالى .

في هذه السنة ضَعُفَ أمر الديلم ببغداد، وطمع فيهم العامة فانحدروا إلى واسط فخرج إليهم عامتها وأتراكها فقاتلوهم فدفع الديلم عن أنفسهم ، وقتلوا من أتراك واسط وعامتها خلقاً كثيراً، وعظم أمر العيارين ببغداد فافسدوا ونهبوا الأموال . وفيها توفي الحاجب أبو طاهر سباشي المشطب (ا) وكان كثير المعروف ، وأبر الحسن الهماني وكان متولي البصرة وغيرها، وهو الذي مدحه مهيار بقوله : "استنجد الصبر فيكم وهو مغلوب ".

وفيها قَدِمَ سلطان الدولة بغداد، وضرب الطبل في أوقات الصلوات الخمس ،ولم تجرِ به عادة إنما كان عضد الدولة يفعل ذلك في أوقات ثلاث صلوات . وفيها هرب ابن سهلان من سلطان الدولة إلى هيت وأقام عند قرواش ، وولّى سلطان الدولة موضعه ابا القاسم جعفر بن أبي الفرج بن فسانجس ، ومولده ببغداد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة . وفيها كانت ببغداد فتنة بين أهل الكرخ من الشيعة وبين غيرهم ، من أهل السنة اشتدت (2). وفيها استتاب القادر بالله المعتزلة، والشيعة . وغيرهما من أرباب المقالات المخالفة لما يعتقده من مذاهبهم ، ونهى عن المناظرة في شيء منها . ومن فعل ذلك نكل به ، وعوقِبَ (3) .

(ا) كذا في الاصول بسين مهملة في أوله وبعدها باء موحدة والف وشين معجمة بعدها ياء مثناة من تحت . وفي البداية والنهاية : 12 / 8 والنجوم الزاهرة، ومرآة الزمان ، والمنتظم شباشي بشينين معجمتين كان مولى شرف الدولة

بن عضد الدولة بن بويه . لقبه بهاء الدولة بالسعيد وذى الفضيلتين ثم لقب بهاء الدولة أبا الهيجاء بختكين بالمناصح وأشرك بينهما فى أمور الاتراك ببغداد . وكان أبو طاهر هذا كثير الصدقات فائض المعروف والاحسان لاهل بغداد يكسو الايتام والضعفاء . وينظر فى حال الفقراء . بنى قنطرة الخندق ، والهارشان ، والناصرية وغير ذلك وكان من محاسن الدنيا رعاش بعد المناصح رفيقه ستة أشهر ومات وكان رفيقه المناصح أيضاً من رجال الدهر وعقلائهم ومن اعلاهم همة ولم يخلف بعده مثله ولما مات صاحب الترجمة دفن بمقبرة الامام أحمد واوصى ان لا يبنى عليه فخالفوه وبنوا قبة .

(2) زاد ابن كثير " قتل فيها خلق كثير من الفريقين ".

(3) نقل هذه الحادثة ابن كثير فى البداية والنهاية 12 / 7 عن ابن الجوزى فى المنتظم بأوسع من هذا .

ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة

ذكر ولاية ابن سهلان العراق

في هذه السنة عرض سلطان الدولة على الرخجي ولاية العراق فقال : " ولاية العراق تحتاج إلى من فيه عسف وخرق وليس غير ابن سهلان وأنا أخلفه ههنا " ، فولاه سلطان الدولة العراق في المحرم ، فسار من عند سلطان الدولة ، فلمَّا كان ببعض الطريق ترك ثقله والكتاب وأصحابه ، وسار جريدة في خمسمائة فارس معٍ طراد بن دبيس الأسدي يطلب مهارش ، ومضر ابني دبيس . وكان مضر قد قبض قديما عليه بأمر فخر الملك ، فكان يبغضه لذلك وأراد أن يأخذ جزيرة بني أسد منه ، ويسلمها إلى طراد ، فلمَّا علم مضر ، ومهارش قصده لهما سارا عن المذار ، فتبعهما والحر شديد ، فكاد يهلك هو ومن معه عطشاً ، فكان من لطف الله به أن بني أسد اشتغلوا بجمع أموالهم وإبعادها ،وفيٍ الحسن بن دبيس ، فقاتل قتالاً شديداً ، وقتل جماعة من الديلم والأتراك ، ثم انهزموا . ونهب ابن سهلان أموالهم وصان حرمهم ونساءهم ، فلمَّا نزل في خيمته قال : الآن ولدتني أميٍ ، وبذل الأمان لمهارش ، ومضر ، وأهلهما وأشرك بينهما وبين طراد في الجزيرة ورحل . وأنكر على سلطان الدولة فعله ذلك ، ووصل إلى واسط والفتن . بها قائمة فأصلحها وقتل جماعة من أهلها " .

وورد عليه الخبر باشتداد الفتن ببغداد فسار إِليها فدخلها أواخر شهر ربيع الآخر ،فهرب منه العيارون ونفي جماعة من العباسيين ،وغيرهم ، ونفى أبا عبدالله بن النعمان فقيه الشيعة ، وأنزل الديلم أطراف الكرخ وباب البصرة ، ولم يكن قبل ذلك ففعلوا من الفساد ما لم يشاهد مثله . فمن ذلك أن رجلًا من .

المستورين أغلق بابه عليه خوفاً منهم . فلمَّا كان أول يوم من شهر رمضان خرج لحاجته فرآهم على حال عظيم من شرب الخمر والفساد فأراد الرجوع إلى بيته فاكرهوه على الدخول معهم إلى دار

نزلوها ، وألزموه بشرب الخمر ، فامتنع . فصبوها في فيه قهراً وقالوا له : قمْ الى هذه المرأة فافعل بها . فامتنع فالزموه ، فدخل معها إلى بيت في الدار وأعطاها دراهم وقال : هذا أول يوم في رمضان والمعصية فيه تتضاعف ، وأحب أن تخبريهم أنني قد فعلت فقالت لا كرامة ولا عزازة أنت تصون دينك عن الزنا ، وأنا أريد أن أصون أمانتي في هذا الشهر عن الكذب ، فصارت هذه الحكاية سائرة في بغداد .

ثم إن أبا محمد بن سهلان أفسد الأتراك والعامة فانحدر الأتراك الى واسط ،فلقوا بها سلطان الدولة فشكوا إليه فسكنهم ووعدهم الإصعاد إلى بغداد وإصلاح الحال . واستحضر سلطان الدولة بن سهلان فخافه ومضى إلى بني خفاجة ،ثم أصعد الى الموصل فأقام بها مدة ، ثم انحدر إلى الأنبار ومنها إلى البطيحة . فأرسل سلطان الدولة إلى البطيحة رسولاً يطلبه من الشرابي فلم يسلمه . فسير إليها عسكراً فانهزم الشرابي ، وانحدر ابن سهلان إلى البصرة ، فاتصل بالملك جلال الدولة . وكان الرخجي قد خرج مع ابن سهلان إلى الموصل ففارقه بها وأصلح حاله مع سلطات الدولة وعاد إليه.

ذكر غزوة يمين الدولة إلى الهند والأفغانية(1)

في هذه السنة سار يمين الدولة إلى الهند غازياً واحتشد وجمع واستعد ، وأعدَ أكثر مما تقدم . وسبب هذا الاهتمام أنه لما فتح قنوج وهرب صاحبها منه ويلقب رآى قنوج ، ومعنى رآى هو لقب ا.لملك كقيصر ، وكسرى ، فلمَّا عاد إلى غزنة أرسل بيدا اللعين – وهو أعظم ملوك الهند مملكة وأكثرهم جيشاً ، وتسمى مملكته كجوراهة رسلًا إلى رآى قنوج – واسمه

راجيبال –يوبخه على انهزامه ، وإسلام بلاده للمسلمين . وطال الكلام بينهما وآل أمرهما إلى الاختلاف . وتأهب كل واحد منهما لصاحبه ، وسار إليه فالتقوا واقتتلوا ، فقتل راجيبال واتى القتل على أكثر جنوده فازداد بيدا بما اتفق له شراً ، وعتواً وبعد صيت في الهند وعلواً، وقصده بعض ملوك الهند الذي ملك يمين الدولة بلاده ولعزمه وأباد جنده ، وصار في جملته وخدمه . والتجأ اليه فوعده بإعادة ملكه إليه . وحفظ ضالته عليه واعتذر بهجوم الشتاء ، وتتابع الإنداء .

(ا) هم جبل من أهل الجبال .